المملكة الأردنية الهاشمية
وزارة التربية والتعليم
إدارة المناهج والكتب المدرسية

قضايا أدبيّة

الصّفّ الحادي عشر

للفرع الأدبيّ

ISBN: 978-9957-84-743-2

المطبعة الوطنية

إدارة المناهج والكتب المدرسية

قضايا أدبيّة

الصّفُّ الحادي عشر

للفرع الأدبيّ

النّاشر
وزارة التّربية والتّعليم
إدارة المناهج والكتب المدرسيّة

يسر إدارة المناهج والكتب المدرسيّة استقبال ملحوظاتكم وآرائكم على هذا الكتاب على العناوين الآتية:
هاتف: ٨ - ٥ / ٤٦١٧٣٠٤ فاكس: ٤٦٣٧٥٦٩ ص. ب: (١٩٣٠) الرمز البريديّ: ١١١١٨
أو على البريد الإلكترونيّ: ALanguage.Division@moe.gov.jo

قرّرت وزارة التّربية والتّعليم تدريس هذا الكتاب في مدارس المملكة الأردنيّة الهاشميّة جميعها، بناءً على قرار مجلس التّربية والتّعليم رقم (٢٠١٦/٤٣) تاريخ ٢٠١٦/٣/٦م. وقرّر المجلس الموافقة على الملاحظات المدخلة على هذا الكتاب في قراره رقم (٢٠١٧/٣٧) تاريخ ٢٠١٧/١/١٧م؛ بدءًا من العام الدراسيّ ٢٠١٧/٢٠١٨م، استنادًا إلى قرار مجلس التّربية والتّعليم رقم (٢٠١٦/٨٩).

الحقوق جميعها محفوظة لوزارة التّربية والتّعليم

ص . ب (١٩٣٠) عمّان – الأردنّ

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنيّة
(٢٠١٦/٣/١٢٦٩)
ISBN: 978 - 9957 - 84 - 743 - 2

مستشار فرق التّأليف: أ. د. خالد عبد العزيز الكركي

أشرف على تأليف هذا الكتاب كل من:

أ.د. يوسف حسين بكّار — أ.د. صلاح محمد جرار — أ.د. جعفر نايف عبابنة
أ.د. فايز عارف القرعان — أ.د. عبد الكريم سليم الحداد — د. أسامة كامل جرادات (مقررًا)

وقام بتأليفه كلّ من:

هاني لطفي العواملة — د. عايد عيد أبو سرحان
يحيى حمدان القضاة — د. أروى عقلة الهزايمة

راجع هذه الطبعة:

أ.د. خالد عبد العزيز الكركي — د. عبد الكريم أحمد الحياري
أ.د. سمير بدوان قطامي — د. خلود إبراهيم العموش

التّحرير العلمي: د. أسامة كامل جرادات

التّصميم: هاني سلطي مقطش — **التّحرير الفني**: نرمين داود العزة

الإنتاج: سليمان أحمد الخلايلة

دقّق الطباعة: د. أسامة كامل جرادات — **راجعها**: د. عماد زاهي نعامنة

الطّبعة الثّانية — **١٤٣٨هـ / ٢٠١٧م**

أعيدت طباعته — **٢٠١٨ – ٢٠١٩م**

قائمة المحتويات

الموضوع — الصفحة

المقدّمة ٥

الفصل الدراسيّ الأوّل

العصر الجاهلي ٨
أولاً: قضايا من الشعر في العصر الجاهلي ٨
المعلَّقات ٨
الشعراء الصَّعاليك ١٢
ثانيًا: فنون من النثر في العصر الجاهلي ١٦
الأمثال ١٦
الخَطابة ١٨
عصر صدر الإسلام ٢١
أولاً: قضايا من الشعر في عصر صدر الإسلام ٢١
موقف الإسلام من الشعر والشعراء ٢١
مِن شعراء الدعوة الإسلامية ٢٣
ثانيًا: فنون من النثر في عصر صدر الإسلام ٢٧
الخَطابة ٢٧
الوصايا ٣٠
العصر الأموي ٣٣
أولاً: قضايا من الشعر في العصر الأموي ٣٣
الغَزَل العُذْري ٣٣
الشعر السياسي ٣٨
ثانيًا: فنون من النثر في العصر الأموي ٤١
الرسائل ٤١
الخَطابة ٤٣

الفصل الدراسيّ الثاني

العصر العباسي ٤٨

أولاً: قضايا من الشعر في العصر العباسي ٤٩

الثورة على نَهْج القصيدة العربية ٤٩

شعر وَصْف معالم الحضارة ٥١

شعر الفلسفة والحكمة ٥٥

شعر الزُّهد ٦٥

ثانيًا: النثر في العصر العباسي ٦٨

ابن المقفَّع ٦٨

الجاحظ ٧٠

ابن العَميد ٧٣

أبو حَيّان التوحيدي ٧٤

الكُدْية والنَّقْد الاجتماعي (فَنّ المَقامة) ٧٨

المصادر والمراجع ٨٢

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على أشرف الخلْق وسيّد المرسَلين.

وبعد، يهدف هذا الكتاب إلى دراسة مجموعة من القضايا البارزة في الأدب العربي في العصور المختلفة، فقد عُرِّفت فيه كلُّ قضية من القضايا الأدبية المطروحة، ومُثِّلَ عليها من النصوص الأدبية شعرًا ونثرًا، وتُحُدِّث عن موضوعاتها ومضامينها، وذُكِر أبرزُ أعلامها، ثم استُنبِطت خصائصُها الفنية، في إطار من التأصيل لا التأريخ، إلّا حيث يخدم التأريخُ التأصيلَ.

وهذه القضايا الشعرية والنثرية ليست مادة معرفية تُقدَّم للطلبة فيحفظوها، بل هي موضوع للتفكير والتحليل، ومحاور للنقاش والحوار، ومدخل للبحث والتعلم الذاتي، ولعل هذا من أبرز الأهداف التي يسعى الكتاب إلى تحقيقها. وقد وُضِع في نهاية كل قضية تقويمٌ اشتمل على أسئلة تطبيقية لضمان تَمَثُّل الظاهرة وفهمها، وأُتْبِع التقويم في بعض المَواطن بنشاط؛ لإغناء القضية الأدبية، وتنمية مهارة البحث لدى الطلبة، وفتح مزيد من المجال للحوار والمناقشة، ولم تُغفَل إمكانية الإفادة من مصادر المعرفة الحديثة ممثَّلةً بالشبكة العالمية للمعلومات التي تَصِل الطالب بأحدث ما توصَّل إليه العِلم.

وقد أُخِذَت النصوص الشعرية والنثرية من مصادرها الأصيلة، وجاءت ممثِّلةً لما عُرِض له ونوقش في بيان الظاهرة؛ لتكونَ الصورة أَوضحَ وأَجْلى في أذهان الطلبة.

وأما عصور الأدب العربي التي اختيرَت منها القضايا الأدبية فهي:

١ ـ العصر الجاهلي، ويمثِّل الحِقبة التي سَبَقت الإسلام، وامتدّ نحو ٢٠٠ عام.

٢ ـ العصر الإسلامي، الذي شَهِدَ ظهور الإسلام، ويشمل:

أ – حكم الخلفاء الراشدين، وامتدّ حتى عام ٤٠ هـ.

ب– الدولة الأمويّة، وتمثِّل حِقبة الحكم الأموي، وامتدّت حتى عام ١٣٢ هـ .

جـ– الدولة العباسيّة، وتمثِّل حِقبة الحكم العباسي، وامتدّت حتى سقوط الخلافة العباسية على يد المغول عام ٦٥٦ هـ.

وإنّ الأهداف المرجوَّة من هذا الكتاب لا يمكن تحقيقها إلا بتضافر جهود الأطراف جميعها من: المعلِّمين، والطلبة، وأولياء الأمور.

راجينَ زملاءنا المعلِّمين وأولياء الأمور تزويدنا بأيّة ملحوظات تغني الكتاب وتسهم في تحسينه.

تكون المادة المطلوبة للحفظ من هذا الكتاب على النحو الآتي:

- **الفصل الدراسيّ الأوّل**

يحفظ الطلبة أربعة أبيات شعريّة من كلٍّ من:

- المعلَّقات
- الشعراء الصعاليك
- شعر حسان بن ثابت
- شعر كعب بن مالك
- الغزل العذري
- الشعر السياسي

- **الفصل الدراسيّ الثّاني**

يحفظ الطلبة أربعة أبيات شعريّة من كلٍّ من:

- شعر الثورة على نهج القصيدة العربية
- شعر وصف معالم الحضارة
- شعر أبي تمّام الطائي (شعر الفلسفة والحكمة)
- شعر أبي العلاء المعرّيّ (شعر الفلسفة والحكمة)
- شعر أبي الطيّب المتنبّي (شعر الفلسفة والحكمة)
- شعر الزهد

الفصل الدراسيّ الأوّل

العصر الجاهليّ

أوّلاً قضايا من الشِّعر في العصر الجاهليّ

يتبوَّأ الشعر المكانة الأولى في الأدب الجاهلي، ويشكِّل الجزء الأكبر من التراث الأدبي الذي وصل إلينا من ذلك العصر. وقد جاءت أغلب الأشعار في قصائد تكاد تكون مكتمِلة فنيًّا، عُدَّت نموذجًا ظلّ الشعراء المتأخرون يَحتَذونه ويسيرون على نهجه مدة طويلة، وجاءت صُوَره ومعانيه واضحة وبسيطة ومستمَدّة من البيئة، فالشعر الجاهلي وثيقة صادقة تمثِّل الحياة الجاهلية: أيامَها، ووقائعَها، وعاداتِها، وتقاليدَها، وبيئتَها. وقد تنوَّعت أغراض الشعر الجاهلي، فنظم الشعراء في: الغزل، والفخر، والهِجاء، والمدح، والوصف، والحكمة.

ونناقش في هذا السياق موضوعَيْنِ من موضوعات الشعر الجاهلي: شعرَ المعلَّقات ممثَّلاً بمعلَّقة زُهَير بن أبي سُلمى، وشعرَ الصَّعاليك الذي يمثِّل جانبًا من الحياة الاجتماعية في ذلك العصر.

المعلَّقات

هي قصائد طِوال من أَجْود الشعر الجاهلي، قالها كِبار الشعراء الجاهليين في مناسبات خاصة، جَمَعوا فيها بين عدة أغراض شعرية.

وتعود تسميتها بالمعلَّقات إلى ما قيل بأن العرب قد استحسنوها؛ فعلَّقوها على جدران الكعبة، وقد أَطلق عليها بعضهم المُذهَّبات؛ لأنها كُتِبت بماء الذهب، ومنهم من يُسمّيها بالمُقلَّدات؛ لأن الشعراء ممن جاء بَعْدَهم قلَّدوهم في طريقتهم.

أمّا عددها فقد اختُلِف فيه، فمن العلماء من يجعلها سَبْعًا وهو المشهور، وآخرون يرَوْن أنها أكثر من ذلك حتى أوصلوها إلى عَشْر.

أمّا شعراء المعلَّقات السبع فهم : امْرُؤُ القَيْسِ، وطَرَفَةُ بن العبد، وزُهَيرُ بن أبي سُلمى، وعَنْتَرَة بن شَدّاد، وعَمْرو بن كُلثُوم، ولَبيدُ بن رَبيعَةَ، والحارِثُ بن حِلِّزَة.

وقد أُضيف إليهم شعراءُ ثلاثة آخرون، هم: الأعْشى، والنّابغة الذُّبْيانيّ، وعَبِيد بن الأَبْرَص.

وللمعلَّقات قيمة أدبية وتاريخية عالية؛ لأنها تُصوِّر البيئة الجاهلية والحياة الجاهلية أوضح تصوير وأشمَلَه، وتتصف بأسلوبها الأدبي الرَّصين.

والمعلَّقات، في صورة عامّة، تشتمل على مجموعة من الموضوعات أهمّها:

١ – الوقوف على الأطلال.

٢ – الغزل.

٣ – وصف الرِّحلة.

٤ – الحكمة .

إضافة إلى موضوعات أخرى خاصة تتعلق بمناسبة كل معلَّقة.

معلَّقة زُهير بن أبي سُلمى

نَظَمَ زُهير معلَّقته يمدح فيها الحارث بن عَوْف وهَرِم بن سِنان اللَّذَين دفعا دِيَات القتلى من قبيلتَي: عَبْسٍ، وذُبْيان، بعد حرب داحِس والغَبْراء بينهما. والمتتبِّع للمعلَّقة يجد أنها تناولت الموضوعات الآتية حسب أبيات القصيدة التي تقع في اثنين وستين بيتًا[١].

بدأ زهير قصيدته بالوقوف على أطلال صاحبته أُمِّ أَوْفى، واصفًا ما حلَّ بالديار بعد رحيل أهلها حتى غدت أطلالًا كالعُروق في ظاهر اليد، تَسرَح فيها الظِّباء والوحوش، يقول :

أَمِنْ أُمِّ أَوْفى دِمْنَةٌ لَمْ تَكَلَّمِ ... بِحَوْمانَةِ الدَّرّاجِ فَالْمُتَثَلَّمِ[٢]

ودارٌ لَها بِالرَّقْمَتَيْنِ كَأَنَّها ... مَراجيعُ وَشْمٍ في نَواشِرِ مِعْصَمِ[٣]

بِها العِينُ والآرامُ يَمْشِينَ خِلْفَةً ... وأَطْلاؤُها يَنْهَضْنَ مِنْ كُلِّ مَجْثَمِ[٤]

---

(١) الزَّوْزني، شرح المعلقات السبع، ص١٥٢.

(٢) الدِّمْنَة: ما اسوَدَّ من آثار الديار. الحَوْمانة: الأرض الغليظة. الدَّرّاج والمتثلَّم: مَوْضِعان.

(٣) الرَّقْمتان: مكان في نجد. النَّواشر: العُروق. المِعْصم: موضع السِّوار من اليد.

(٤) العِين : البقر الوحشيّ. الآرام : الظِّباء. الأَطْلاء: صِغار الظِّباء والبقر الوحشيّ.

ثم يُصوِّر الشاعر رحلة الظَّعائن[1] التي سلكتْها صاحبته في مجموعة من النساء الجميلات المنعَّمات المتحمِّلات على الهوادج ذات الستائر الحمراء، وهُنَّ يَعلون الروابي ويهبطن الوديان، حتى إذا وصلن إلى الماء الصافي والمرعى الذي يلتمِسنه أَلْقَين عصا الترحال، يقول زُهير:

تَبَصَّرْ خَليلي هلْ تَرى مِنْ ظَعائِنٍ ... تَحَمَّلْنَ بالعَلياءِ مِنْ فوقِ جُرْثُمِ؟[2]

عَلَوْنَ بأنْماطٍ عِتاقٍ وكِلَّةٍ ... ورادٍ حَواشيها مُشاكِهَةُ الدَّمِ[3]

وَوَرّكْنَ في السُّوبانِ يَعلونَ مَتْنَهُ ... عَلَيْهِنّ دَلُّ النّاعِمِ المُتَنَعِّمِ[4]

وفيهِنَّ مَلْهًى لِلَّطيفِ ومَنظَرٌ ... أنيقٌ لِعَينِ النّاظِرِ المُتَوَسِّمِ[5]

فَلَمّا وَرَدْنَ الماءَ زُرْقًا جِمامُهُ ... وَضَعْنَ عِصِيَّ الحاضِرِ المُتَخَيِّمِ[6]

ويواصل الشاعر قصيدته فيمدح هَرِم بن سِنان والحارث بن عَوْف اللَّذَين تَدارَكا أمر القبيلتين: عَبْس، وذُبْيان، وأصلحا بينهما قبل فَنائهما، فدفعا دِيَات القتلى الذين ماتوا في حرب داحِس والغَبراء، يقول:

يَمينًا لَنِعْمَ السَّيدانِ وُجِدْتُما ... عَلى كُلِّ حالٍ مِنْ سَحيلٍ ومُبْرَمِ[7]

تَدارَكْتُما عَبْسًا وذُبْيانَ بَعْدَما ... تَفانَوْا ودَقّوا بَيْنَهُم عِطْرَ مَنْشَمِ[8]

وقد قُلْتُما إنْ نُدْرِكِ السِّلْمَ واسِعًا ... بِمالٍ ومَعْروفٍ مِنَ القَولِ نَسْلَمِ

فَأَصبَحتُما مِنها على خَيْرِ مَوْطِنٍ ... بَعيدَيْنِ فيها مِنْ عُقوقٍ ومَأْثَمِ[9]

بعد ذلك يخاطب زهير المتحارِبينَ الذين اصطلَوْا بنار الحرب، وما جرَّته من ويلات على

(١) الظَّعائن: النساء الراحلات في الهَوادج.
(٢) العلياء: الأرض المرتفعة. جُرثُم: ماء لبني أَسَد.
(٣) الأنماط: الستائر على الهوادج. الوِراد: جمع (وَرْد) وهو الأحمر. مُشاكِهة: مُشابِهة.
(٤) وَرَّكن: ثَنَيْنَ أرجلهنّ للراحة. السُّوبان: الأرض المرتفعة. مَتْنه: ظَهْره.
(٥) التوسُّم: التفرُّس في الوجه.
(٦) الزُّرْقة: شدة الصفاء. الجِمام: ما اجتمع من الماء في البئر. وَضَعَ العصا: كناية عن الإقامة.
(٧) السَّحيل:غير المُبرَم، يريد أنهما مُستوفِيان لخِلالِ الشَّرف في كل أمر أَبرَماه أو لم يُبرماه.
(٨) مَنْشَم: اسم امرأة عَطّارة، كانت تُغمَس الأيدي في عِطرها لتُعاهدَ على الحرب حتى يفنى القوم عن آخرهم.
(٩) يريد أنهما لم يشتركا في تلك الحرب ، ومع ذلك يؤدّيان عن غيرهما الدِّيَات.

القبيلتين، محذِّرًا من سوء عاقبة إيقاد نار الحرب:

وما الحَربُ إلاّ مـــا عَلِمْتمْ وذُقْتُمُ ... وما هو عَنها بالحَديثِ المُرَجَّـــمِ[1]

متى تَبْعَثوها تَبْعَثوها ذَميمَـــــةً ... وتَضْرَ إذا ضَرَّيْتُمـــــوها فَتَضْرَمِ[2]

وفي نهاية القصيدة نجد الحكمة والموعظة التي تمثِّل نظرةَ الشاعر الثاقبة إلى أمور الحياة، ودعوتَه إلى التحلي بالأخلاق الحميدة، وهو صاحب الخبرة والتجربة الطويلتين:

سَئِمْتُ تَكاليفَ الحَياةِ ومن يَعِـشْ ... ثَمانينَ حَوْلاً -لا أَبا لَكَ- يَسْـأَمِ

وأَعْـلَمُ مـا في اليَومِ والأَمسِ قَبْلَـهُ ... ولـكِنّني عَنْ عِلْمِ ما في غَـدٍ عَـمِ

ومن يَكُ ذا فَضْلٍ فَيَبْخَلْ بِفَضْلِـهِ ... عَلى قَـوْمِـهِ يُسْتَغْنَ عَنْهُ ويُذْمَـمِ

ومن هـابَ أَسبابَ المَنايـا يَنَلْنَهُ ... ولَو رامَ أَسْبابَ السَّمـاءِ بِسُلَّـمِ

وكائِن تَرى مِنْ صامِتٍ لَكَ مُعْجِبٍ ... زِيـادَتُـهُ أَو نَقْصُـهُ في التَّكَلُّـمِ

لِسانُ الفَتى نِصْفٌ ونِصْفٌ فُـؤادُهُ ... فَلَمْ يَبْقَ إِلّا صورَةُ اللَّحْـمِ والدَّمِ

خصائص شعر المعلَّقات

١- تغلب على ألفاظها الجزالة والقوة.

٢- تصف الطبيعة بدقة متناهية، وتُصوِّر الواقع الحسي للبادية بصخورها ووِهادها وحيوانها.

٣- تتعدد موضوعاتها وأغراضها، فتجد فيها مقدِّمة طَلَلية ونَسيبًا ورحلة، وتجد مدحًا وفخرًا وغيرهما.

٤- تتصف بالصدق في وصف الانفعالات والعواطف والوقائع في غير مغالاة.

٥- لا تغلب عليها المحسِّنات وألوان التزيين الفني والزُّخرُف البديعي .

---

(١) الحديثُ المُرجَّم : حديث الظَّن.

(٢) تبعثوها : تهيِّجوها. تَضْرَم : تشتعل.

التقويم

١- عرِّف المعلَّقات، واذكر سبب تسميتها بهذا الاسم.
٢- علِّل: للمعلَّقات قيمة أدبية وتاريخية عظيمة.
٣- بيِّن مناسبة معلَّقة زهير.
٤- من خصائص شعر المعلَّقات المعاني المنتزَعة من البيئة، وضِّح هذا من خلال معلَّقة زهير.
٥- السعي إلى الصلح ودَرْء الفتن في المجتمع من الأمور السامية، أين تجد ذلك في معلَّقة زهير؟

النّشاط

عُد إلى الشّبكة العالمية للمعلومات، واقرأ مَطالِعَ المعلَّقات العَشْر، ثم اكتبْها بخطٍّ جميل على لوحة، وعلِّقها في غرفة الصّف.

الشعراء الصَّعاليك

أسهمَتِ الظروف الاجتماعية والاقتصادية والمكوِّنات النفسية في نشأة ظاهرة الصَّعاليك، التي تتصل بمسألة الفقر والغنى في المجتمع الجاهلي، واستهدفت تحقيق صورة من صور العدالة الاجتماعية والتوازن الاقتصادي في هذا المجتمع. وكان من الفقراء بعض الشعراء الذين اتخذوا من شعرهم أداةً للمواجهة والتعبير عن الذات، لنجد أنفسنا في النصف الثاني من القرن السادس الميلادي وبداية القرن السابع الميلادي أمام ظاهرة قوية واسعة الانتشار من الصعاليك، لها شعراؤها المعبِّرون عن معاناتها وأهدافها وتطلُّعاتها وقِيَمِها.

معنى الصَّعلَكة

الصُّعْلوك في اللغة هو الفقير الذي لا مال له.

وأمّا في الاصطلاح فالصَّعاليك جماعة فقيرة من قبائل العرب كافة، جَمَعَ بينهم الحاجةُ وسوء الحال، ودفعهم فقرهم للخروج على قبائلهم والتحلُّل من نَظْمها. وقد انعكست حياة الشعراء الصعاليك في شعرهم فصوّروا معاناتَهم وبؤسَهم وحياتهم اليومية في الصَّعلَكة والقِيَم التي يؤمنون بها.

أهمّ شعراء الصَّعاليك

يُعَدّ عُرْوة بن الوَرْد والشَّنْفَرى وتأبَّطَ شَرًّا والسُّلَيْك بن عُمير السَّعدي وعمرو بن البَرّاق من أشهر شعراء الصعاليك. وقد وصل إلينا من دواوين شعر الصَّعلكة ديوان عُرْوةَ بن الوَرْد وديوان الشَّنْفَرى. ونكتفي هنا ببعض الحديث عن هذَين الشاعرَين.

عُرْوَة بن الوَرْد

لُقِّب بـ (عُرْوة الصَّعاليك) ؛ لِما تحلّى به من خُلُق فريد في السخاء والعطف الشديد على الفقراء. قال عنه عبد المَلِك بن مروان: "مَن زَعَم أنَّ حاتِمًا أَسْمَحُ الناس فقد ظلَم عُرْوةَ بن الوَرْد". ومن شعره:

إذا المَرْءُ لَمْ يَطْـــلبْ مَعاشًـــا لِنَفْسِهِ ... شَكـــا الفَقْرَ أوْ لامَ الصَّـــديقَ فَأَكْثَرا

وصارَ على الأَدْنَيْنَ كَـــلًّا وأوْشَكَتْ ... صِلاتُ ذَوي القُرْبى لَهُ أنْ تَنَكّـــــرا

وما طالِبُ الحاجاتِ مِنْ كُـلّ وُجْهَةٍ ... مِـــنَ النّاسِ إلا مَنْ أَجَـــدَّ وشَمَّرا

الشَّنْفَرى

هو ثابِت بن أَوْس الأَزْدِيّ، تَقَدَّمَ شعراءَ الصَّعاليك بفضل قصيدته المعروفة بـ (لامِيَّة العَرَب)، التي اشتُهِرت بطولها وبروز خصائصها الفنية واللغوية وما فيها من رُقِيٍّ في الصياغة الفنية والذوق الرفيع، إضافة إلى أن الشَّنْفَرى عُدَّ من أشجع فرسان الصَّعاليك وأشهرهم في الشعر بلا منازع، إذ

صارت لاميَّته وثيقةً للحياة والفن، ومنها:

أَقيمـوا بَني أُمّـي صُـدورَ مَطِيِّكُـمْ فَإنّـي إلـى قَوْمٍ سِواكُمْ لَأَمْيَلُ[1]

فَقَد حُمَّتِ الحاجـاتُ واللَّيلُ مُقمِـرٌ وشُدَّتْ لِطَيّاتٍ مَطايـا وأَرْحُـلُ[2]

لَعَمْرُكَ ما في الأَرْض ضيقٌ على امْـرِئٍ سَرى راغبًا أو راهبًا وهوَ يَعْقِلُ

موضوعات شعر الصَّعاليك

دارت موضوعات شعر الصَّعاليك حول تصوير وضع الشعراء الاجتماعي، ولا سيما ما يعانونه من فقر وضيق حال، وسعيهم إلى الخلاص من ذلك، وتحدثوا عن أسلحتهم ومغامراتهم وأساليب عَيْشهم في الصحراء.

ومن أمثلة ذلك ما قاله عُرْوة بن الوَرْد ذاكرًا الفقر وسَعْيَه إلى الخلاص منه وحُجَّتَه في ذلك:

دَعينـي لِلْغِنى أَسْعـى فَإنّـي رَأَيْتُ النّـاسَ شَرُّهُـمُ الفَقيرُ

وأَبْعَدُهُمْ وأَهْوَنُهُـمْ علَيهِـمْ وإنْ أَمْسى لَـهُ حَسَبٌ وَخيرُ

ويُقْصيهِ النَّـدِيُّ وتَزْدَريـهِ حَليلَتُـهُ ويَنْهَـرُهُ الصَّغيرُ

ومن وصْف أسلحتهم قول الشَّنْفَرى واصفًا سيفه:

حُسامٌ كَلَوْنِ المِلْـحِ صافٍ حَديدُهُ جُرازٌ كأَقْطاعِ الغَـديرِ المُنَعَّتِ[3]

ومن الحديث عن سرعة عَدْوِهم ما يقصُّه تَأَبَّطَ شَرًّا حين أنجَتْه سرعةُ عَدْوه، فيقول:

لا شَيْءَ أَسـرَعُ منّي لَيْسَ ذا عُـذَرٍ وذا جَناحٍ بِجَنْبِ الرَّيْدِ خَفّـاقِ[4]

حَتّى نَجَـوْتُ ولمّا يَنْزِعوا سَلَبي بِوالِهٍ مِن قَبيضِ الشَّـدِّ غَيْداقِ[5]

---

(١) المَطِيُّ: الإبل، وإقامة صدورها كناية عن التهيؤ للرحيل.

(٢) حُمَّت الحاجات: قُدِّرت ودُبِّرت. الطّيَّة: الحاجة أو النِّيّة المدبَّرة. الأَرحُل: جمع (رَحْل) وهو ما يوضع على ظهر البعير للركوب.

(٣) جُراز : قاطع.

(٤) الرَّيْد: الناتئ من الجَبَل يشرف على ما تَحتهُ.

(٥) الغَيْداق: هو الكثير الواسع من كل شيء، يقال: سَيْرٌ غَيْداق.

الخصائص الفنيّة لشعر الصَّعاليك

من أهم الخصائص الفنية لشعر الصَّعاليك:

١- انتشار المقطوعات والقصائد القصيرة، والتخلُّص من المقدِّمات الطَّلَلية.

٢- وَحدة الموضوع، فلم تخرج قصائدهم على إطار واحد يصوّرون فيه حياتهم وطريقة عيشهم.

٣- التحلُّل من الشخصيّة القَبَليّة.

٤- الشعر القَصصي، فشعرهم أغلبه مقطوعات شعريّة قَصصيّة رائعة، تمثِّل مغامراتهم وعيشهم في الصحراء.

٥- عدم الاهتمام بتوظيف الخيال الفنّي.

التقويم

١- وضِّح العوامل التي أدَّت الى ظهور شعر الصَّعاليك في العصر الجاهليّ.

٢- اذكر ثلاثة من أهم موضوعات شعر الصَّعاليك، ممثِّلًا عليها.

٣- تُعَدُّ الواقعية والبعد عن الإمعان في الخيال من أهم الخصائص الفنية لشعر الصَّعاليك، وضِّح ذلك.

٤- علِّل: تَقَدَّم الشَّنْفَرى شعراءَ الصَّعاليك.

٥- بيِّن رأيك في موقف الشعراء الصَّعاليك من الحياة والناس.

ثانيًا فنون من النثر في العصر الجاهليّ

ما وصل إلينا من النِّتاج النثري في الجاهلية قليل، والسبب أنّه لم يكن يُكتب في رقاع أو يُدوَّن في صحف، وقد اعتمد العرب على روايته شَفاهَةً؛ ما أدى إلى ضياع كثير من نصوصه.

ومن الفنون النثرية في العصر الجاهلي: الأمثال، والخَطابة.

الأمثال

المَثَل: قَوْلٌ موجَز بليغ قيل في مناسبة ما، ثم استعمله الناس لخِفَّته وبلاغته في المواقف المشابِهة، ونادرًا ما يَمَسُّه التغيير، وهو مُحكَم الصِّياغة، يُعْمَد فيه إلى استخدام ضُروب البديع كالسَّجْع والجناس والطباق.

انتشرت الأمثال وذاعت في العصر الجاهليّ، ويرجع ذلك إلى عاملَين، هما:

١ – البيئة الجاهليّة بيئة فِطْرية، وتشتدُّ الحاجة فيها إلى أقوال صادقة مُستخلَصة من تجارِب حقيقية.

٢ – ارتباط المثل بحادثة أو حكاية أدّت إلى انتشاره.

الخصائص الفنية للأمثال في العصر الجاهلي

اتّسمت الأمثال في العصر الجاهليّ بمجموعة خصائص، نلخِّصها في ما يأتي:

١ – إيجاز اللفظ.

٢ – قوة العبارة.

٣ – سلامة الفكرة.

٤ – المَيل إلى استخدام ضروب البديع.

وهذه نماذج من أمثال العرب في الجاهليّة ومناسباتها:

١- «لا ناقَةَ لي فيها ولا جَمَل»

نَزلَت امرأة يقال لها (البَسوس) بناقتها عند بني بَكر إلى جِوار جَسّاس بن مُرَّة، فدخلت ناقتها في حمى أبناء عمومتهم من بني تَغْلِب، فقَتلَ كُلَيْبُ بن رَبيعة سيّدُ بني تَغْلِب الناقةَ. ثار جَسّاس لقتل ناقة امرأة نزلت في حِماه، وكَمَنَ لكُلَيْب وقتله غِيلَةً؛ فدُقَّت طبول الحرب. وكان في قوم جَسّاس رجل شجاع حكيم هو الحارِث بن عَبّاد، أتاه قومه ليسألوه النُّصْرة في الحرب فقال: " لا ناقَةَ لي فيها ولا جَمَل "، فصار مثلا يُضرَب لمن اعتزل أمرًا لا يرى فيه صلاحًا.

٢- « إذا عَزَّ أَخوكَ فَهُنْ »[١]

أصل هذا المثل أنّ رجلاً خرجَ مع أصحابه لقتال قومٍ، فانتصروا على القوم وغَنِموا. وفي أثناء عودتهم طلب إليه أصحابه أن يَقتَسِموا، لكنه خافٍ من مفاجأة القوم لهم وهم يقتسمون، فطلب إليهم إمهاله حتى يصلوا إلى ديارهم، ولكنهم أصروا فنفَّذ ما أرادوا، وقال: " إذا عَزَّ أَخوكَ فَهُنْ ". وصار مثلًا يُضرَب في التسامح واللين مع الأصدقاء والأقارب.

٣- « ما يَوْمُ حَليمةَ بِسِرّ »

أصله أنّ حَليمة بنت الحارث الغَسّاني استقبلت جُند أبيها عند عودتهم بعد انتصارهم على المناذرة وضمّختهم بالطّيب، وذاع خبر هذا النصر وما فعلته حَليمة في هذا اليوم، فقيل:" ما يَوْمُ حَليمةَ بِسِرّ ". وأصبح هذا القول مثلًا يُضرَب للأمر إذا شاع وانتشر وأصبح معروفًا.

ومن أمثال العصر الجاهلي الأخرى التي ما زالت تستعمل في وقتنا الحاضر:

أ - رُبَّ عَجَلَةٍ تَهَبُ رَيْثًا[٢].

ب- مَقْتَلُ الرَّجُلِ بَيْنَ فَكَّيْه.

جـ- أَسْمَعُ جَعْجَعَةً وَلا أَرى طِحْنًا[٣].

---

(١) عَزّ: تشدَّدَ. هُنْ : لِنْ ولا تتشدَّدْ.

(٢) الرَّيث: البُطْء.

(٣) أي أسمعُ جَلَبة ولا أرى عملاً ينفع. والـجَعْجَعة: صوت الرَّحى. الطِّحْنُ: المطحون أي الدّقيق.

التقويم

١- عرِّف المَثَل.
٢- علِّل: انتشرت الأمثال وذاعت في العصر الجاهلي.
٣- بيِّن الخصائص الفنية للمَثَل في العصر الجاهلي.
٤- هاتِ موقفًا اجتماعيًّا من حياتنا اليومية يُقال فيه أحد الأمثال السابقة.

النّشاط

عُد إلى كتاب (مَجمَع الأمثال) للمَيْداني، وابحث عن أمثال جاهلية أخرى مع ذِكْر مناسباتها، وبيان القِيَم الإيجابيّة التي تتضمَّنها، ثمّ اعرض ما توصَّلتَ إليه على زملائك.

الخَطابة

الخُطبة فُنٌّ نثري لساني من فنون الكلام، يُقصَد به التأثير في الجمهور عن طريق السَّمْع والبصر معًا.

فهي تعتمد إذًا على المشافَهة ومخاطَبة الجمهور لاستمالتهم، وإثارة عواطفهم، وجذب انتباههم، وتحريك مشاعرهم نحو أمر ما يريده الخطيب؛ مما يقتضي منه أن ينوِّع أساليب خِطابه، ويُجوِّد في إلقائه، ويُحسِّن صوته، ويُوظّف إشاراته الجسديّة.

وللخُطبةِ ثلاثة أجزاء هي:

١- **المقدِّمة**: هي أوّل ما يلقيه الخطيب على جمهوره؛ لذا، عليه الاهتمام بتحسينها ليشوِّق السامعين، والإتيان بالعبارة السهلة التي توحي لهم بمقصود الخطبة؛ ما يشدّ الانتباه ويهيئ النفوس.

٢- **الموضوع**: وهو مقصود الخُطبة، وعلى الخطيب التّدرّج في تناول الموضوع تناولًا متسلسلًا إلى أن يصل إلى مبتغاه.

٣- **الخاتمة**: ويلخّص فيها الخطيب أبرز ما جاء في خُطبته.

ويعود سبب عناية الجاهليين بالخَطابة إلى:

أ – الافتخار بالقبيلة والنفس.

ب– قلّة انتشار الكتابة؛ الأمر الذي شجع الخَطابة، فهي فنّ يتميز بالتعبير الشفوي.

جـ– وجود الأسواق التي يجتمع فيها الخطباء والشعراء لإبراز مواهبهم، مثل سوق عُكاظ.

د – الأَحْلاف التي كانت تُعقَد بين القبائل.

وكان الخطيب الجاهلي يتَّبِع تقليدًا في خُطبته، إذ يرتقي الأماكن العالية، ويعصِب رأسه بالعِمامة، ويتَّكئ على العصا أو الرمح.

أغراض الخَطابة في العصر الجاهليّ

تعدّدت أغراض الخَطابة الجاهلية وتنوّعت، فاشتملت على ما يأتي:

١ – الوِفادة على الملوك.

٢ – التّعزية في الوُجَهاء والسادات.

٣ – التهنئة في الإِمْلاكِ[١] والولادة.

٤ – الدعوة إلى الصلح وفض المنازعات.

٥ – المفاخرة والمنافرة والمباهاة بالأحساب.

خصائص الخَطابة في العصر الجاهليّ

اتّسمت الخَطابة في العصر الجاهلي بعدد من الخصائص، يمكن تلخيصها في ما يأتي:

١ – وضوح الفكرة.

٢ – جَوْدة العبارة وسلامة ألفاظها.

٣ – الإكثار من التقسيم والموازاة.

٤ – المراوحة بين الأسلوبين: الخبري، والإنشائيّ.

٥ – استخدام الصور البيانية لتقوية المعنى واستمالة المستمعين.

---

(١) الإِمْلاك: الزواج.

ولكي تتعرف الخَطابة في العصر الجاهلي على نحو أوضح، اقرأ النص الآتي من خُطبة هاشِم بن عبد مَناف في مُنافَرة بين قريش وخُزاعة:

« أيُّها الناس، نحنُ آلُ إبراهيم، وذرِّيّةُ إسماعيل، وبنو النَّضْرِ بن كِنانةَ، وبنو قُصَيِّ بن كِلاب[1]، وأربابُ مَكَّة، وسُكّانُ الحرَم. لنا ذروةُ الحَسَب، ومعدِن المجد، ولكلٍّ في كلِّ حِلْف، يجب عليه نُصْرته، وإجابة دعوته، إلّا ما دعا إلى عقوق عشيرة وقَطْع رَحِم.

يا بني قُصيّ، أنتم كغُصْنَي شجرة، أيّهما كُسِرَ أَوْحَشَ صاحِبَهُ، والسيف لا يُصان إلاّ بِغِمْدِه، ورامي العشيرة يصيبه سهْمُهُ، ومن أمْحَكَهُ اللَّجاجُ[2] أخرجه إلى البَغْي.

أيُّها الناس، عليكم بمكارم الأخلاق فإنها رِفعة، وإيّاكم والأخلاق الدَّنيّة فإنها تَضَعُ الشّرفَ، وتَهْدمُ المجدَ».

التقويم

١ – عرِّف الخُطبة.

٢ – علِّل: اعتنى الجاهليون بالخَطابة عناية شديدة.

٣ – مثِّل على خصائص الخُطبة الجاهلية من الخُطبة السابقة.

(١) النَّضْر : الجَدّ الثاني عشر للنبي ﷺ. قُصَيّ الجَدّ الرابع.

(٢) أَمْحَكَه اللَّجاج: نازَعَ خَصْمه غاضبًا.

عصر صدر الإسلام

أوّلاً قضايا من الشِّعر في عصر صدر الإسلام

جاء الإسلام فأحدث تغيُّرًا في حياة العرب السياسية والاجتماعية والدينية، وأضاء نفوسهم بتعاليمه الجديدة، فبرزَتْ مَعانٍ إسلامية وعُرِفت مصطلحات دينية جديدة، وطبيعي أن يكون لهذه الحياة الجديدة أثرها الواضح في الشعر. ونناقش في ما يأتي قضية موقف الإسلام من الشعر والشعراء، وسنمثِّل للشعر الإسلامي بشاعِرَي الدعوة الإسلامية: حَسّان بن ثابت، وكَعْب بن مالك.

موقف الإسلام من الشِّعر والشعراء

انطلق موقف الإسلام من الشعر والشعراء من موقفه العام من مظاهر الحياة العربية في الجاهلية، الذي يتمثّل في الإبقاء على ما يتفق مع تعاليمه، ومنْع ما يتعارض معها، ومن ثَمّ، قَبِلَ الإسلامُ الشعر الذي سُخِّر لخدمته والذود عنه، ودعا إلى القيم الحميدة، وابتعدَ عمّا يخالفُ تعاليم الدين الإسلاميّ.

أمّا الشعر الذي وقف حَجَرَ عَثْرة في سبيل نشر الإسلام، وخرج على حدود تعاليمه، وخالَفَ قِيَمه السَّمْحة والنّبيلة، كالشعر الذي نُظِم في الكراهية القَبَليّة، وفي وصْف النِّساء، وشرب الخمر، والنزاعات، والهجاء المُقذِع، ومجاوزة الحق في المدح، فقد ردَّه الإسلامُ ونهى عنه.

فالقضية إذًا في ما يتناول الشعراء من المعاني وليست في الشعر ذاته الذي هو أصلًا فنّ من فنون الأدب، يقول تعالى: ﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾ ﴾[1]

(١) سورة الشعراء، الآيات ٢٢٤–٢٢٧.

فقد كان الرّسول ﷺ يُثني على الشعر إذا كان مُوافِقًا لتعاليم الإسلام بعيدًا عن روح الجاهليّة، فقد رُوِي عنه أنه قال: " إنَّ مِن الشِّعر لَحِكْمةً، وإنَّ مِن البيان لَسِحْرًا "[1]، و" الشِّعرُ بمنزلةِ الكلام، فحَسَنُه كحَسَنِ الكلامِ، وقَبيحُهُ كقبيحِ الكلامِ"[2]. وكان رسول الله ﷺ يستمع إلى الشّعر، ويعلِّق على بعض الأبيات، ويوجِّه أصحابها توجيهات تتواءم مع جوهر الدين الإسلامي ومبادئه السَّمْحة. وقد أدرك رسول الله ﷺ أهمية الشعر في الحياة العامة، وأثنى على شعراء الإسلام، وقدّرَ دورهم في التصدي للمشركين، والذَّوْد عن المسلمين، وكان يشجّعهم ويشدّ من أَزْرهم، وقال عنهم: "هؤلاء النَّفَرُ أشدُّ على قريش من نَضْح النَّبْل"[3].

ومجمل الأمر أنَّ الإسلام لم يَحكم على الشّعر من حيث هو شِعر، بل نظر إليه أداةً يجب أن تُسخَّر لخدمة الرسالة الجديدة، والدفاع عن الإسلام وإرساء تعاليمه، ونشر قِيَم الفضيلة.

التقويم

١- وضِّح موقف الإسلام من الشّعر والشّعراء.

٢- اشرح الحديثين الآتيين في ضوء دراستك قضية موقف الإسلام من الشعر والشعراء:

أ - "هؤلاء النَّفَرُ أشدُّ على قريش من نَضْح النَّبْل".

ب- "إنَّ مِن الشِّعر لَحِكْمةً ".

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) صحيح الجامع.

(٣) رواه الترمذي. نَضْح النَّبْل: رمْي السِّهام.

١ - حَسّان بن ثابت

هو أبو الوليد حَسّان بن ثابت بن المُنذر من قبيلة الخَزْرج، وُلِد في المدينة المنوَّرة، وهو من الشعراء المُخضرَمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام. تُوفِّي في خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه سنة ٥٤هـ.

شِعره

حَسّان بن ثابت من فحول الشعراء في الجاهلية، ولم يخرج على إطار عصره في أغراضه الشعرية التي تنوّعت بين الفخر بقومه وهجاء خصومهم، والمدح، إضافة إلى: الرثاء، والوصف، والغزل.

أما في الإسلام فهو شاعر الرسول ﷺ وجُلُّ شعرِه في مدح الرسول والدفاع عنه ونشر تعاليم الإسلام، ومدح المسلمين والتغني بانتصاراتهم، ورثاء شهدائهم، والرد على أعدائهم، فقد كان يهجو قريشًا بالأيام التي هُزِموا فيها، ويُبيِّن مَثالبهم. قالت السيّدة عائشة رضي الله عنها : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول لحسّانَ: " إنّ روحَ القُدُسِ لا يَزالُ يُؤيِّدُكَ ما نافَحْتَ عنِ اللهِ ورسولِه" (١).

ومن شِعره في الدفاع عن الرسول ﷺ وهجاء المشركينَ قوله:

أَلا أَبْلِغْ أبا سُفيانَ عَنّي ... فَأَنتَ مُجَوَّفٌ نَخِبٌ هَواءُ (٢)

هَجَوْتَ محمَّدًا فَأَجَبْتُ عنهُ ... وعندَ اللهِ في ذاكَ الجَزاءُ

أَتَهْجوهُ وَلَستَ لَه بكُفْءٍ ... فَشَرُّكُما لِخَيرِكُما الفِداءُ

هَجَوْتَ مُبارَكًا بَرًّا حَنيفًا ... أَمينَ اللهِ شِيمَتُهُ الوَفاءُ

ومن مدائحه قصيدته التي يمدح فيها وفد بني تَميم الذي قَدِم على رسول الله ﷺ عامَ الوفود في السنة التاسعة للهجرة، يقول:

إنَّ الذَّوائبَ مِنْ فِهْرٍ وإخْوَتِهِمْ ... قد بَيَّنوا سُنَّةً للنّاسِ تُتَّبَعُ (٣)

إنْ كان في النّاسِ سَبّاقونَ بَعْدَهُمُ ... فكُلُّ سَبْقٍ لأدْنى سَبْقِهِمْ تَبَعُ

(١) رواه مسلم.
(٢) مُجَوَّف: فارِغ. نَخِبٌ: جَبان.
(٣) الذَّوائب: أعالي الشيء، والمقصود هنا عِلْية القوم وأشرافهم. فِهْر: أصلُ قبيلة قريش.

أَعِفّةٌ ذُكِرَتْ في الوَحـــي عِفّتُهُمْ لا يَطْمَعـونَ ولا يُرْديهِـمُ الطّمَعُ
أَعْطَوْا نبيَّ الهُـدى والبِرِّ طاعَتَهـمْ فما وَنَى نَصْرُهُمْ عنْهُ وما نَزَعـوا

ومن قـولـه في الرثـاء رثاؤه شهداء مؤتـة: زَيْد بن حارِثـة، وجعفر بن أبي طالب، وعبد الله بن رَواحة رضي الله عنهم يقول:

رأَيتُ خِيـــارَ المؤمِنينَ تَـوارَدوا شَعُوبَ وخَلْفًـــا بَعْدَهُـمْ يَتَـأخّرُ[1]
فلا يُبْعِـــدَنَّ اللهُ قتْلـــى تَتابَعـــوا بِمؤْتَةَ مِنْهُمْ ذُو الْجَناحَيْنِ جعفرُ
وَزَيـــدٌ وَعبدُاللهِ حيـــنَ تَتابَعـــوا جميعًا وَأَسبابُ المَنِيّةِ تَخْـــطِرُ

خصائص شعره

١ – التأثُّر بمعاني القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، فكَثُرت الألفاظ الإسلامية في شعره.
٢ – الارتجال في قول الشعر وعدم تَعَهُّده بالمراجعة؛ لِطبيعة الموقف وسرعة الأحداث.
٣ – التخلُّص من المقدمات الطَّلَلية والدخول في الموضوع مباشرة؛ لذلك يَكثُر في مطالع قصائده لفظة (أَبْلِغْ) أو(مُبْلِغ).
٤ – صدق العاطفة وقوّتها.

التقويم

١ – يقول النُّقّاد: إن حَسّان بن ثابت يمثِّل الصحيفة الناطقة بلسان الدعوة الإسلامية، اشرح هذه العبارة في ضوء ما درستَ.
٢ – من سِمات شعر حَسّان كثرة ورود الألفاظ الإسلامية، دلِّل على هذه السِّمة من الأبيات الواردة في هذا الدرس.

(١) شَعوب : من أسماء المَنِيّة.

٢ ـ كَعْب بن مالك

هو أبو عبد الله كَعْب بن مالك بن أَبي كَعْب الخَزْرَجيّ الأنصاري. أسلَمَ مبكِّرًا. عُرِف عنه صدقه وشجاعته في قول الحق والثبات عليه. تُوفِّي ﵁ سنة خمسين للهجرة.

شعره

سخّر كَعْب شعره لخدمة الدعوة الإسلامية، فجاء شعره ترجمة للحياة التي عاشها، إذ صوَّرَ الأيّام وأحداثها كيوم بَدْرٍ، ورثى الشهداء، وافتخر بالمسلمين، وهجا قريشًا.

يقول كَعْب بن مالك مفتخِرًا ومُتوعِّدًا قريشًا:

أَبْلِغْ قريشًا وخَيرُ القولِ أَصْدَقُهُ ... والصِّدقُ عندَ ذَوي الألبابِ مَقبولُ

تَلْقاكُمُ عُصَبٌ حَولَ النبيِّ لهمْ ... ممّا يُعِدّون للهَيْجا سَرابيلُ (١)

مِن جِذْمِ غَسّانَ مُستَرخٍ حَمائلُهمْ ... لا جُبناءُ ولا ميلٌ مَعازيلُ (٢)

ومن تصويره الأيّام قصيدته التي يصف فيها يوم بَدْر ويصوِّر ما دار فيه من أحداث، يقول:

قَضى يَومَ بَدْرٍ أن نُلاقِيَ مَعْشَرًا ... بَغَوْا وسَبيلُ البَغْيِ بالنّاسِ جائِرُ

وفينا رَسولُ اللهِ والأَوْسُ حَوْلَهُ ... لَهُ مَعْقِلٌ منهُمْ غَزيرٌ وَناصِرُ

وقَدْ عُرِّيَتْ بِيضٌ خِفافٌ كَأنَّها ... مَقابيسُ يُزْهيها لعَيْنَيْكَ شاهِرُ(٣)

فكُبَّ أَبو جَهْلٍ صَريعًا لِوجْهِهِ ... وعُتْبةُ قَدْ غادَرْنَهُ وَهْوَ عائِرُ(٤)

---

(١) السَّرابيل: جَمْع (سِربال) وهو القميص أو الدّرع.

(٢) المِيل: بكسر الميم جَمْع (أَمْيَل) وهو من لا تُرس له. المَعازيل: مَن لا رِماحَ معهم.

(٣) عُرِّيَت: أُشْهِرَت. البِيض: مفردها (الأبيض) وهو السيف. مقابيسُ: مفردها (مِقباس) وهو الشّعلة من النار. يُزهيها: يُزيِّنها ويُحسِّنها.

(٤) عائِر: معتلّ العَيْن.

وقال يرثي سيد الشهداء حمزة بن عبد المطّلب ﷺ معبِّرًا عن مشاعره الصادقة وعواطفه الجيّاشة:

ولقـدْ هُدِدْتُ لِفَقْدِ حَمْـــزةَ هَدَّةً ظلَّتْ بَناتُ الجَـــوْفِ منها تَرْعُدُ[1]

وَلَوَ أَنَّـــهُ فُجِعَتْ حِـراءُ بِمِثْلِـــهِ لَرأَيتُ راسِيَ صَخْـرِهـــا يَتهَـدَّدُ[2]

خصائص شعره

١ – صدق العاطفة وتدفُّقها وحرارتها.

٢ – كثرة المعاني والألفاظ الإسلامية.

٣ – استخدام الصورة الشعرية المؤثِّرة.

التقويم

١ – ما الموضوعات التي تناولَها كَعْب بن مالك في شعره؟

٢ – من خصائص شعر كَعْب استخدام الصورة الشعرية المؤثِّرة، مثِّل على هذه الخاصيّة من الأبيات التي درستَها، مبيِّنًا جمالية التصوير.

(١) بَنات الجَوْف: القلب والأحشاء.

(٢) أَنه: تُقرَأ بهمزة وصل حرصًا على الوزن العروضي. حِراء: جبل في مكة كان الرسول يعتزل فيه قبل البعثة. الرّاسي: الثابت.

ثانيًا فنون من النثر في عصر صدر الإسلام

شهد النثر تطوُّرًا واضحًا في عصر صدر الإسلام بما يتواءم ومبادئ الرسالة الجديدة وغاياتها، فاختلف في منهجه ومضمونه وأساليبه عمّا وصل إلينا من نثر في العصر الجاهلي.

ونقف هنا على فنَّيْن من الفنون النثرية في عصر صدر الإسلام، هما: الخَطابة، والوصايا.

الخَطابة

حظِيَت الخَطابة في عصر صدر الإسلام باهتمام كبير، إذ اتخذها الرسول ﷺ والصحابة الكِرام أداةً للدعوة إلى الدين الجديد وبيان تعاليمه ونشره، فابتعدت عن المنافَرات الجاهلية والتعصُّب والتغنّي بالأحساب والأنساب.

وخير مثال على الخَطابة في هذا العصر خُطبة الرسول ﷺ في حِجّة الوادع التي ألقاها يوم عَرَفة على جبل الرَّحمة، ومما جاء فيها:

« الحمدُ لله نَحمَدُهُ، وَنَستعينُه، ونَستغفرُهُ، ونَتوبُ إليه. ونَعوذُ باللهِ مِنْ شُرورِ أنْفُسِنا ومِن سيّئاتِ أعمالِنا، مَن يَهْدِ اللهُ فَلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ لهُ.

وأشهدُ أن لا إله إلاّ اللهُ وحْدَه لا شريكَ له، وأنّ محمدًا عبدُه ورسولُه. أوصيكُم، عبادَ اللهِ، بتقوى اللهِ، وأحثُّكم على طاعتِه، وأستفتِحُ بالذي هو خَير.

أَمّا بعد، أيّها النّاس، اسْمَعوا منّي أُبيّنْ لَكُم، فَإنّيَ لا أَدري، لعَلّي لا أَلْقاكم بعدَ عامي هذا في مَوْقِفي هذا. أَيُّها النّاس، إنّ دِماءَكُم وأمْوالَكُم وأَعْراضَكم عليكم حَرامٌ إلى أنْ تَلْقَوْا رَبَّكُمْ كَحُرمَةِ يومِكُم هذا، في شَهْرِكم هذا، في بَلَدِكُم هذا، ألا هل بلَّغْتُ؟ اللّهمَّ اشهدْ، فمَن كانت عندَهُ أَمانةٌ فليُؤدِّها إلى مَن ائْتمَنَه عليها، وإنّ رِبا الجاهليّة مَوْضوعٌ، وإنّ أوّلَ ربًا أَبْدأُ به رِبا عَمّي العبّاس بن عبد المطّلب، وإنّ دماءَ الجاهليّة مَوْضوعة، وإنّ أوّل دمٍ نبدأُ به دمُ عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطّلب، وإنّ مَآثِر الجاهلية مَوْضوعة، غيرَ السِّدانة[1] والسِّقاية[2]. والعَمْدُ قَوَدٌ[3]، وشِبْهُ العَمْد ما

(١) السِّدانة: امتلاك مفاتيح الكعبة والسماح للناس بالدخول إليها.
(٢) السِّقاية: تقديم الماء للحجّاج وتوفير سبل الراحة لهم.
(٣) القَوَد: القِصاص.

قُتِل بالعصا والحَجَر، وفيه مئةُ بعير، فمن زاد فهو من أهل الجاهلية.

أيُّها النّاسُ، إنّما المؤمنونَ إخْوةٌ، فَلا يَحِلُّ لامرِئٍ مالُ أَخيهِ إلاّ عن طيبِ نفْسٍ منهُ، أَلا هل بلَّغْتُ؟ اللّهم اشْهَدْ. فلا تَرْجِعُنّ بَعدِي كُفّارًا يَضرِبُ بَعْضُكم رِقابَ بَعْض، فإنّي قد تَرَكْتُ فيكم ما إنْ أَخَذتمْ بِهِ فلن تَضِلّوا بَعْدَهُ، كِتابَ اللهِ وسُنّة نَبيّه، أَلا هل بلَّغتُ؟ اللّهمّ اشْهَدْ.

أيُّها النّاسُ، إنّ رَبَّكُمْ واحِدٌ، وإنّ أَباكُم واحدٌ، كُلُّكم لآدمَ وآدمُ من تُراب، إنّ أكرمَكُمْ عندَ اللهِ أتْقاكم، إنّ اللهَ عليم خبير، وليس لعربيّ على عجميّ فَضْلٌ إلاّ بالتّقوى، أَلا هل بلَّغْتُ؟ اللّهم اشهَدْ. قالوا: نَعَمْ. قال: فلْيُبَلِّغِ الشاهدُ الغائبَ» (١).

في هذه الخُطبة الجامعة وضع الرسول ﷺ مبادئ التعامل بين المسلمين في ما بينهم ومع غيرهم، ومن ذلك: حُرْمة الدماء والأعراض والممتلَكات، وحُرْمة الرِّبا، وإبطال عادات الجاهليّة.

من أنواع الخَطابة في عصر صدر الإسلام

١- خُطَب الجهاد.

٢- الخُطَب السّياسية.

٣- الخُطَب الدّينية.

خصائص الخَطابة في عصر صدر الإسلام

١- الطابَع الإسلامي، فأصبح من تقاليدها أن تُستَهَلّ بحمد الله وإلا سُمِّيَت (البتراء)، وأن تُوَشَّح بآيات من القرآن الكريم وتُزيَّن بالصلاة على النبي وإلا سُمِّيَت (الشَّوْهاء)، وأن تُختَتَم بالدعاء.

٢- الإيجاز، ودقة التعبير، ووضوح الألفاظ.

٣- التنويع في الأساليب الإنشائية والخبرية.

٤- العناية بإيراد الحُجج والأدلّة لإقناع المخاطَبين.

٥- تضمُّن معاني القرآن الكريم والسنّة النبويّة.

٦- قِصَرُ الفقرات، وتَناسُق الفواصل.

---

(١) سيرة ابن هشام.

التقويم

١– وضِّح المقصود بكلٍّ من: الخُطبة البتراء، والخُطبة الشَّوْهاء، في عصر صدر الإسلام.

٢– تضمّنت خُطبة حِجّة الوداع ضُروبًا متعددة من أساليب الإنشاء، اذكر ثلاثة منها، مبيِّنًا أثر هذه الأساليب في نفْس المستمع وإقناعه بمضامين الخُطبة.

٣– وفِّقْ بين خصائص الخُطبة في عصر صدر الإسلام وفِقْرات خُطبة حِجّة الوداع، كما هو مبيَّن في الجدول الآتي:

الخاصية	الفقرة
التنوُّع في الأساليب	
الإيجاز	
إيراد الحُجج والأدلة	
تناسق الفواصل	

النّشاط

مُسترشدًا بما درستَ في فنّ (الخَطابة) في عصر صدر الإسلام، اكتبْ من إنشائكَ خُطبةً دينيّة، ثم أَلقِها على مَسامع زملائكَ ومعلِّمكَ في الصّفّ.

الوصيّة هي ما يُوصِي به شخصٌ مُجَرَّب عَرَكَتْه الحياة بكثير من التجارِب على مختلِف أشكالها: السياسيّة، والاجتماعيّة، والفكريّة، وغيرها، إلى شخص آخَرَ أقلَّ خبرةً منه بهدف الإرشاد.

وقد أعطى الإسلام للوصايا دَفَقًا جديدًا معتمِدًا على تعاليمه الدينية وقِيَمه ونظرته المختلفة إلى الحياة بجميع شؤونها.

ويمكننا أن نصنِّف الوصايا في عصر صدر الإسلام صنفينِ: الوصايا السياسية، والوصايا الاجتماعية.

أمّا الوصايا السياسية فهي المتعلقة في مجملها بشؤون الحكم الإسلامي الداخلية والخارجية، مثلِ الفتوحات الإسلامية وتوجيه قادة الجيوش ونصحِهم. وخير مثال عليها وصية أبي بكر الصّدّيق لجيش أُسامة بن زَيْد قُبيل توجُّهه إلى غايته التي أمَرَه بها رسول الله ﷺ قبل وفاته:

« يا أَيّها الناسُ، لا تَخونوا، ولا تَغُلّوا[1]، ولا تَغدِروا، ولا تُمثِّلوا، ولا تقتلوا طفلًا ولا صغيرًا، ولا شيخًا كبيرًا، ولا امرأةً، ولا تَعْقِروا نَخْلًا، ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرةً، ولا تذبحوا شاةً ولا بقرةً ولا بعيرًا إلا لِمَأْكَلة. وسوف تمرّون بأقوامٍ قد فرَّغوا أنفسَهم في الصَّوامع، فَدَعوهم وما فرَّغوا أنفسَهم له. وسوف تَقْدَمونَ على قومٍ يأتونكم بآنِيَةٍ فيها ألوان الطّعام، فإذا أكلتم منها شيئًا بعد شيء فاذكروا اسمَ الله عليها. وتَلْقَوْنَ أقوامًا قد فَحَصوا أوساطَ رؤوسِهم وتركوا حولَها مثل العَصائب[2]، فاخفِقوهم بالسيف خَفْقًا. اندفِعوا باسم الله».

يُلحَظ في هذه الوصية تأثُّر المضامين الواضح بتعاليم الإسلام في تسيير شؤون الحرب، وبيان الحقوق فيها، وحثّ الجنود على قتال من يقاتلهم فقط، وعدم قتل الأطفال والنساء والشيوخ والمتعبِّدين في صَوامعهم، وعدم قطع الأشجار وقتل الحيوان، وغير ذلك من الأمور التي لا يجيزها الإسلام.

(١) الغِلّ : الحقد.

(٢) فَحَصوا أوساط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العَصائب: كناية عن التجهز للقتال.

وأمّا الوصايا الاجتماعية فقد تعلَّقت في مجملها بأمور الحياة اليومية العامة والخاصة، وما قد يواجهه الناس من مشكلات. ومما يمثِّل هذا النوع من الوصايا وصية عُتْبة بن أبي سفيان لابنه عمرو حينَ بلغَ خمسَ عشرةَ سنةً:

«يا بُنَيّ، قد تَقَطّعَتْ عنك شرائعُ الصِّبا، فالزمْ الحياءَ تكُنْ من أهلِه، ولا تُزايِلْه فَتَبينَ منهُ. ولا يَغُرَّنَّكَ مَن اغتَرَّ باللهِ فيكَ فمَدَحكَ بما تَعْلَمُ خلافَهُ مِن نفْسكَ، فإنَّهُ مَنْ قال فيكَ الخيرَ ما لم يَعْلَمْ إذا رَضيَ قال فيكَ الشّرَّ مِثلَهُ إذا سَخِط، فاستأنِسْ بالوحْدَة من جلساءِ السّوءِ تَسْلَمْ من غِبّ عواقبِهم».

فعُتْبة هنا يوجِّه إلى ابنه مجموعة من النصائح المتعلقة بشؤون حياته الخاصة، ويَظهر في مضامينها التأثُّر بروح العصر التي تحثّ على التزام الأخلاق النبيلة والقيم الإسلامية، مثلِ: الحياء، وعدم الاغترار بكلام المنافقين.

خصائص الوصايا في عصر صدر الإسلام

من خلال الوقوف على الوصيتين السابقتين يمكننا أن نُجْمل أهم خصائص الوصايا في عصر صدر الإسلام بما يأتي:

١- الإيجاز والتكثيف.

٢- معالجة واقع الإنسان وجوهر حياته من خلال التصوُّر الإيماني.

٣- المستوى الأدبي الرفيع، وأصالة اللغة.

التقويم

١- عرِّف الوصية.

٢- علِّل: اختلَفَت الوصايا في عصر صدر الإسلام في مضامينها عن وصايا العصر الجاهلي.

٣- تعكس مضامين وصيّة أبي بكر الصّدّيق الصورة الحقيقية للإسلام في حالة الحرب، وضِّح ذلك.

٤- فرِّق بين الوصية السياسية والوصية الاجتماعية من ناحية المضمون.

٥- اقرأ الوصية الآتية، ثم أجب عن الأسئلة التي تليها:

وصية الصحابي عُمَيْر بن حَبيب لِبَنيهِ:

« يا بَنِيّ، إيّاكم ومُخالطةَ السُّفهاءِ، فإنَّ مُجالستَهم داءٌ، وإنّه مَنْ يَحْلُمْ عن السَّفيهِ يُسَرَّ بِحِلْمه، ومَن يُجِبْه يَندمْ، ومَن لا يَقَرَّ بقليلِ ما يأتي به السَّفيهُ يَقَرَّ بالكثير. وإذا أرادَ أَحَدُكم أَن يأمرَ بالمعروف أو ينهى عن المنكر فَلْيُوَطِّنْ قَبْلَ ذلك على الأذى[1]، وليوقِنْ بالثّوابِ من الله عزَّ وجلَّ، إنّه مَن يوقنْ بالثّوابِ من الله عزَّ وجلَّ لا يجدْ مَسَّ الأَذى ».

أ - ما نوع هذه الوصية؟

ب- مثِّل من خلال هذه الوصية على خصائص الوصايا في عصر صدر الإسلام.

(١) أي يمهِّد نفسَه ويهيِّئها للتحمّل.

العصر الأُمويّ

ازدهرت الحياة الأدبية في العصر الأموي على نحو واضح، ويرجع ذلك إلى عوامل متعددة: سياسية، واجتماعية، ودينية، تركت آثارها في الأدب الذي يُعدّ مرآةً عاكسة للحياة.

أوّلاً قضايا من الشِّعر في العصر الأُموي

تعدّدت الاتجاهات الشعرية وأغراضها في العصر الأموي، وظهرت اتجاهات شعرية جديدة، وبرزت طائفة كبيرة من الشعراء كان لهم تأثير واضح في العصور الأدبية اللاحقة. ونقف في هذا السياق على قضيّتين شعريّتين كان للواقع السياسي والاجتماعي دور في بروزهما وإثارتهما، هما: الغزل العُذْري، والشعر السياسي.

الغزل العُذْري

مفهوم الغزل العُذْري

هو غزلٌ عفيف طاهر، يصوِّر فيه الشاعر مُكابَدة العشق وآلام الفراق والبعد عن المحبوبة، وينأى عن وصف محاسن المرأة الجسدية. وقد سُمِّي بـِ (العُذْريّ) نسبة إلى قبيلة (عُذْرة) التي سكنتْ وادي القُرى على مشارف الشام واشتُهِر شعراؤها بهذا اللون من الشعر.

أشهر شعراء الغزل العُذْري

الشعراء الذين عُرِفوا بهذا اللون من الشعر كثيرون، من أشهرهم: جَميل بُثَيْنة، وقَيْس بن المُلَوَّح (مجنون ليلى)، وقَيْس بن ذَريح (مجنون لُبْنى)، وكُثَيِّر عَزّة الخُزاعيّ.

مضامين الغزل العُذْري

يصوِّر الغزل العُذْريّ الحالة النَّفْسية التي يعيشها الشاعر من ألم البعد ولوعة الفراق والحرمان وشدة الشوق، فتنهمر الدموع، وتُبَثّ الشكوى، يقول قَيْس بن ذَريح:

إلى اللهِ أَشْكـو فَقْـدَ لُبْنى كما شَكا ... إلـــــــى اللهِ فَقْدَ الوالدَينِ يَتيمُ

يَتيمٌ جَفاهُ الأقْرَبــونَ فَجِسمُـــــهُ ... نَحيلٌ وعَهدُ الوالِـــــــدَينِ قَديمُ

بَكَتْ دَارُهُم مِـــن نَأْيِهـــم فَتَهلَّلتْ ... دمـوعي فَأَيَّ الجـــازِعَيْنِ أَلـــومُ؟

وقد يكتفي الشاعر من المحبوبة بالنظرة العاجلة، أو حتى الوعد الذي يَعرف أنه لن يتحقق، كل ذلك ليخفِّفَ حِدّة شوقه وآلامه، يقول جَميل بُثَينة:

وإنّي لأَرْضى مِـــــنْ بُثَينةَ بالَّذي ... لَوَ أَبْصَرَهُ الواشـــي لَقَرَّتْ بَلابِلُـهْ[1]

بِـــــلا وبِألاّ أَستَطيـعَ وبالمُنـــى ... وبالوَعدِ حتى يَسْأَمَ الوَعـــدَ آمِلُـهْ

وبالنّظرةِ العَجلى وبالحَـوْلِ تَنقَضي ... أَواخِـــــــرُهُ لا نَلتَقي وأَوائِلُـــهْ

وقد يتعرض الشاعر إلى لوم اللائمين ومراقبة الواشينَ، لكن هذا لا يزيده إلا تعلُّقًا بالمحبوبة، يقول جَميل بُثَينة:

وما زادَها الواشونَ إلاّ كَرامَـــــةً ... عَلَيَّ وما زالتْ مَودّتُـــها عِنْدي

والشاعر العُذْري يحرِص على سمعة محبوبته، ويحافظ على العلاقة العفيفة الطاهرة التي جَمَعت بينهما، يقول كُثيِّر عَزّة:

وقـــالَ خَليلي: ما لَـها إِذْ لَقيتَـها ... غَداةَ الشَّبا فيهـــا عَليْكَ وُجومُ؟[2]

فَقلتُ لَـــــــهُ: إنَّ المَـــودَّةَ بَيْننـــا ... على غيرِ فُحْشٍ والصَّفـــاءُ قديـمُ

وإنّـــي وإنْ أعرَضْتُ عنْهـــا تَجَلُّـدًا ... على العَـــهْدِ في ما بَيْنَنـــا لَمُقيمُ

ونعرض هنا لاثنين من شعراء الغزل العُذْري للتمثيل.

---

(١) أَبْصَرَهُ: تُقرَأ بهمزة وصل حرصًا على الوزن العروضي.

(٢) الشَّبا: وادٍ من أودية المدينة المنوّرة. وُجومُ: سُكوتٌ عن الكلام لشدة الحزن.

جَميل بُثَينة

هو جَميل بن عبد الله بن مُعَمَّر المشهور بـِ (جَميل بُثَينة)، من أجود الشعراء العذريين شِعرًا، وهو من بني عُذْرة، قال الأشعار في بُثَينة حتى اشتُهِر، وقد خطبها من أهلها فرفضوه. تزوجت بُثَينة فضاقت الدنيا بجَميل وحنّ إليها واشتاق إلى لقائها، وكان الأهل والمُشفِقون عليه يلومونه في هذا الحُبّ الذي أوقعه في المهالك، فيَردّ عليهم بأن هذا قَدَره ونصيبه وأن حبّ بُثَينة كُتِب عليه وهو راضٍ بما قدَّر الله له، يقول في هذا:

لَقدْ لامَني فيهـــــــــا أخٌ ذو قَرابةٍ حَبيبٌ إليهِ فـــــي مَلامَتِه رُشْـدي

وقـــال: أَفِـــقْ حَتّى مَتى أنتَ هائِـــمٌ بِبَثْنَةَ فيهـــا قَـــد تُعيدُ وقَد تُبْـدي؟

فقلتُ له: فيهـــا قَضى اللهُ ما تَـــرى عَلَيّ، وهَلْ في ما قَضى اللهُ مِنْ رَدِّ؟

مجنون ليلى

هو قَيْس بن المُلَوَّح العامِريّ، من بني عامِر، المشهور بـِ(مجنون ليلى)، وهي ابنة عمّه. خطبَها، لكنّ أهلها زوّجوها وَرْد بن محمّد العُقَيْليّ، فهام قَيْس في البراري على وجهه يعيش بين الوحوش، حتى وُجِد مَيْتًا في وادٍ. وقصة قيس وليلى من أشهر قصص الحب العُذْري الطاهر العفيف التي استلهمَها الشعراء والعشّاق على مدى العصور، وقد صوّر قَيْس حبه لليلى وحاله، فقد ابتُلِي بحبّها فما بيده حيلة، فهذا قضاء الله وقدَره، ومما قال في ذلك:

خَليلَـــيَّ لا واللهِ لا أَمْـــلِكُ الـــــذي قَضى اللهُ في لَيْلى ولا ما قَضى لِيا

قَضاهـــا لِغَيري وابتَـــلاني بِحُبِّهـــــا فَهَلاّ بِشَيءٍ غَيرِ لَيْلـــى ابتَلانِيا

خصائص الغزل العُذْري

اتخذ الشعراء العُذْريون اتجاهًا جديدًا من اتجاهات الغزل في العصر الأموي له خصائصه وسِماته، من أهمها:

١- الوَحدة الموضوعية، فلا نلْمح في الغزل العُذْري التقاليد الشعرية الموروثة، مثلَ المقدمات الطَّلَلية أو الرحلة التي تسبق الموضوع الرئيس، بل اقتصرت قصائد العُذْريين على موضوع واحد؛ لأنّ شعراءه عاشوا مُخلِصين لحُبّهم فأفردوا له قصائدهم من غير مقدِّمات.

٢- صدق العاطفة وحرارتها، إذ يَصدُر الشعر العُذْري بصدقٍ عمّا يَختلِج في النفس من أشجان الحبّ والحرمان والألم.

٣- وضوح المعاني وسهولة الألفاظ، فيعبّر الشاعر العُذْري عن المعاني التي تدور في نفسه بألفاظ سهلة من غير تكلُّف أو تعقيد.

٤- جمال التصوير ودقة التشبيه.

٥ - العِفَّة في الغزل.

نموذج من الغزل العذري

يقول قَيْس بن المُلَوَّح في قصيدة (المُؤنِسة):

تَذَكَّرْتُ لَيْلـــى والسّنينَ الخَواليا ... وأيّـــامَ لا نَخْشى عَلى اللَّهوِ ناهِيا

فقـــالَ بَصيرُ القَوْمِ: أَلْمَحْتُ كَوكبًا ... بَدا فـــي سَوادِ اللَّيلِ فَرْدًا يَمانِيـا

فَقلتُ لَه: بل نارُ لَيْلـــى تَوَقَّدَتْ ... بِـ (عَلْيا) تَسـامى ضَوْؤُها فبَدا لِيا

فَما أُشرِفُ الأَيْفـــاعَ إِلّا صَبابَةً ... ولا أُنشِدُ الأَشعـــارَ إِلّا تَداوِيا

وقد يَجمَـــعُ اللهُ الشَّتيتَيْنِ بَعدَما ... يَظُنّان كُلَّ الظَّنِّ أنْ لا تَلاقِيـــا

أَعُدُّ اللَّيالـــي لَيلـةً بَعـــدَ ليلةٍ ... وقد عِشتُ دَهـــرًا لا أَعُدُّ اللَّياليا

وَأَخرُجُ مِـــن بَينِ البُيـــوتِ لَعلَّني ... أُحَدِّثُ عَنـــكِ النَّفْسَ بِاللَّيلِ خالِيا

أُحِبُّ مِن الأسمـــاءِ ما وافَــقَ اسْمَها أَوَ أَشْبَهَهُ أو كانَ مِنـــــهُ مُدانِيــا[1]

هي السِّحرُ إلّا أَنّ لِلسِّـــــحرِ رُقْيــةً وأَنِّيَ لا أُلْفـــــي لَها الدَّهرَ راقِيا

يقولونَ لَيْـــــلى بالعِراقِ مَريضــةٌ فيا لَيْتني كُنتُ الطَّبيبَ المُـــداوِيا

تَمُـــرُّ اللَّيالي والشُّهـــورُ ولا أَرى غَرامـــــي لها يَزْدادُ إلاّ تَمادِيا

التقويم

١- علِّل: تسمية الغزل العُذْري بهذا الاسم.

٢- مثِّل من قصيدة (المُؤنِسة) على خصائص الغزل العُذْري.

٣- وضِّح أهم مضامين الغزل العُذْري مع التمثيل.

النّشاط

عد إلى الشبكة العالمية للمعلومات، واكتب تقريرًا عن أَثَر قصة قَيْس ولَيْلى في الآداب الأجنبية، وناقش زملاءك في ما كتبتَ.

(١) أَشْبَهَهُ: تُقرَأ بهمزة وصل حرصًا على الوزن العروضي.

الشعر السياسي

ازدهر الشعر السياسي في العصر الأموي وأصبح غرضًا شعريًّا قائمًا بذاته. ونكتفي بالتمثيل على الشعر السياسي بالقصائد الهاشِميّات للشاعر الكُمَيْت.

الهاشِميّات

هي القصائد التي نُظِمت في حبِّ الهاشميين، وتمجيدهم، وذكْر مَناقِبهم، وأَحقِّيّتهم في الخلافة. وقد اشتُهِر بها الشاعر الكُمَيْت بن زَيْد الأَسَدِيّ.

الكُمَيْت بن زَيْد الأَسَدِي

هو أبو المُسْتَهِلّ الكُمَيْت بن زَيْد بن خُنَيْس الأَسَدِيّ. يُعَدّ من أوائل الشعراء الذين جعلوا من شعرهم أداةً للتعبير عن آرائهم الفكرية ومواقفهم السياسية، فهو شاعرُ آلِ البيت، وجُلّ شعره في حبّهم، ومَناقِبهم، وبيان أَحقِّيّتهم في الخلافة، ورثاء شهدائهم، وسُمِّيَت القصائد التي نَظَمها في ذلك بالهاشِميّات. تُوفِّي عام ١٢٦ هـ.

مضامين الهاشِميّات

تناولت القصائد الهاشِميّات التعبير عن حُبّ الهاشميين، وذكر مَناقِبهم وبيان فضائلهم، يقول الكُمَيْت في ميميَّته:

بَلْ هَـــوايَ الذَّي أُجِـــنُّ وأُبْـــدي ... لِبَني هاشِـــمٍ فُـــروعِ الأَنـــامِ

الغُيوثِ اللَّيـــــوثِ إنْ أَمْحَلَ النّا ... سُ فَمـأْوى حَـواضِـنِ الأَيتـامِ

والمُصـــيبينَ بابَ ما أَخطَـــأَ النّا ... سُ ومُرْسي قَواعـــدِ الإسـلامِ

كما تناول الكُمَيْت في هاشِميّاته حق الهاشميين في الخلافة بعد خلافة عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وأنهم أَوْلى الناس بها، مستخدِمًا المنطق والحُجة في إثبات هذا الحق، يقول:

فـإنْ هِيَ لم تَصلُحْ لِحَيٍّ سِـواهُـمُ ... فإنَّ ذَوي القُربى أَحَقُّ وأَوْجَبُ

ومن مضامين الهاشِميّات رثاء شهداء الهاشميين، يقول الكُمَيْت في رثاء الحسين بن عليّ بن أبي طالب الذي استُشهِد في كَربَلاء عام ٦١ هـ:

وَمِن أكبَرِ الأَحداثِ كانتْ مُصيبةً عَلَينـا قَتيلُ الأَدْعِياءِ المُلَحَّبُ[١]

قتيلٌ بِجَنْبِ الطَّفِّ مِن آلِ هاشـمٍ فَيا لَكَ لَحْمًا لَيسَ عَنهُ مُذَبِّبُ[٢]

كما هجا الكُمَيْت خصوم الهاشميين وندَّد بمساوئهم، وظهر ما يُعرَف بالهجاء السياسيّ، يقول في ذَمّ حُكّام عصره من الأمويين:

فَتِلكَ مُلوكُ السّوءِ قَدْ طالَ مُلْكُهـمْ فَحَتّامَ حَتّامَ العَناءُ المُطَوَّلُ؟

وما ضَرَبَ الأَمثالَ في الجَوْرِ قَبْلَنـا لِأَجْوَرَ مِنْ حُكّامِنا المُتمثِّلُ

خصائص الهاشِميّات

تمثِّل القصائد الهاشِميّات لونًا من ألوان الشعر السياسي الذي ازدهر في العصر الأمويّ، وهي تتَّسِم بما يأتي:

١ – صدق العاطفة وحرارتها، فهي تنبُع من محبة خالصة للهاشميين، ولم تَصدُر تَكَسُّبًا أو تَصَنُّعًا.

٢ – استخدام المنطق والحُجة والبرهان في الشعر لإثبات حقّ الهاشميين في الخلافة.

٣ – الوَحدة الموضوعية للقصيدة، فهي تدور حول موضوع واحد هو حبّ الهاشميين، والدفاع عن حقهم في الخلافة.

٤ – قلّة الصور الفنية والخيال؛ لتأكيد الموضوع وتقريره.

نموذج من الهاشِميّات

أنشد الكُمَيْت قصيدته البائيّة في مدح الهاشميين، ومنها:

طَرِبتُ وما شَوقًا إلى البِيضِ أَطرَبُ ولا لَعِبًا مِنـي أَذو الشَّيبِ يَلعَبُ؟

---

(١) قتيلُ الأدعِياءِ: يَقصِد الحسين بن علي. المُلَحَّبُ: المُقطَّع بالسيوف.

(٢) الطَّفّ: موضع قُرب الفرات. مُذَبِّب: مُدافِع.

وَلكِنْ إلـــى أهلِ الفَضائلِ والنُّهى وَخَيرِ بَني حَـــوّاءَ والخَيرُ يُطلَبُ
إلى النَّفَرِ البِيضِ الــذينَ بِـحُبِّـهم إلــى اللهِ فـــي مــا نـابَني أتَـقَرَّبُ
بَني هـاشـــمٍ رَهْـطِ النّبيِّ فـإنَّني بِهِـمْ ولَهُمْ أَرضى مِرارًا وأَغضَبُ
خَفَضْتُ لَهُمْ مِنّي جَناحَـــيْ مَوَدّةٍ إلـــى كَنَفٍ عِطْفاهُ أَهْلٌ ومَرْحَبُ
وَجَدْنا لَكُـــم في آلِ حاميمَ آيـــةً تَأوَّلَها مِنّا تَقِـــــيٌّ ومُعـــرِبُ[1]
فَإنْ هِيَ لَـــم تَصلُحْ لِحَيٍّ سِـواهُمُ فَإنّ ذَوي القُربى أَحَـقُّ وأَوْجَبُ
أُناسٌ بِهِـــمْ عَزَّتْ قُرَيشٌ فأصبَحوا وفيهِم خِباءُ المَكرُمـاتِ المُطَنَّبُ

التقويم

١- عرِّف الهاشِميّات.

٢- عدِّد أهم مضامين القصائد الهاشِميّات للشاعر الكُمَيْت ممثِّلًا عليها بالأشعار.

٣- مثِّل على خصائص الهاشِميّات من خلال النموذج الذي درستَه.

(١) آلِ حاميمَ: السُّوَر القرآنية التي تبدأ بـ (حم).

ثانيًا فنون من النثر في العصر الأُموي

تطورت الفنون النثرية في العصر الأموي على نحو واضح، ونتحدث في هذا العصر عن فنَّيْن نثريَّيْن هما: الرسائل، والخَطابة.

الرسائل

الرسائل في العصر الأموي نوعان: الرسائل الديوانية، والرسائل الشخصيّة.

١ – الرسائل الديوانية

هي ما صدرَ عن ديوان الرسائل من مُكاتَبات رسمية مختلفة، أُمْلِيَت على الكاتب أو أنشأها بنفسه وحَبَّرَها بأسلوبه على لسان الخليفة أو من ينوب عنه، وارتبطت موضوعاتها بالسياسة وإدارة الشؤون الداخلية للدّولة والعَلاقات الخارجية.

ومن أمثلة الرسائل الديوانية في العصر الأموي رسالة عمر بن عبد العزيز إلى أَحَد وُلاتِهِ:

«أمّا بعدُ، فإذا أَمْكنَتْكَ القدرةُ من ظُلمِ العِباد فاذْكُرْ قُدرةَ اللهِ عَليكَ، وذَهابَ ما تأتي إليهمْ. واعلمْ أنَّكَ ما تأتي إليهمْ أَمْرًا إلّا كانَ زائِلًا عنهمْ باقِيًا عَليكَ، وأنَّ اللهَ تعالى يَأخُذُ للمظلومِ مِنَ الظالمِ».

خصائص الرسائل الديوانية في العصر الأموي

تتصف الرسائل الديوانية في العصر الأموي بعدة خصائص، أهمها:

١ – إحكام الصَّنعة باختيار الألفاظ.

٢ – العناية بالأفكار وتسلسلها وحُسْن تنظيمها.

٣ – الإيقاع واستخدام المحسِّنات البديعية.

٤ – الالتزام بالبناء التقليديّ للرسالة .

٢- الرسائل الشخصيّة

هي لون من الرسائل صدرَ غالبًا عن أشخاص ذَوي مكانة سامية في المجتمع، عالجتْ موضوعات دينية واجتماعية وقضايا خاصة، مثل: التهاني، والتعازي، والعِتاب، والاعتذار، والنُّصح والإرشاد، وغيرها.

ومن هذه الرسائل في العصر الأموي رسالة عبد الحميد الكاتِب إلى أهله وهو مُنهزِم مع مروان بن محمّد آخِر خلفاء بني أُميّة، بعد انهيار الدولة الأموية، ومما جاء فيها:

«وقد كتبتُ إليكم والأيامُ تَزيدُنا منكم بُعدًا، وإليكم صَبابةً وَوَجْدًا، فإن تَتِمَّ البَلِيَّةُ إلى أقصى مُدّتِها يَكنْ آخرَ العهد بكم وبنا، وإن يَلْحَقْنا ظُفرٌ جارحٌ من أَظْفار مَن يَليكم نَرجِع إليكم بِذُلّ الإسار والصَّغار، والذّلُّ من شرِّ دار، وأَلْأَم جار، يائسينَ من روح الطّمع، وفُسحة الرّجاء. نسألُ الذي يُعِزّ مَن يشاء، ويُذِلّ مَن يشاء، أن يَهَب لنا ولكم أُلفةً جامعةً، في دارٍ آمِنَة، تَجمَع سلامة الأديان والأبدان، فإنّه ربُّ العالَمينَ، وأرحَم الراحمينَ».

خصائص الرسائل الشخصيّة في العصر الأموي

يظهر من خلال استعراض نماذج الرسائل الشخصيّة في العصر الأموي أن هذا اللون من الرسائل يتميز بالخصائص الآتية:

١ – استخدام السجع والموازنة بين الجمل من غير تكلُّف.

٢ – اختيار الألفاظ السهلة الواضحة إلى جانب الإيجاز، إلا في المواضع التي تستدعي القوة والإطالة.

٣ – تسلسل الأفكار والدقة في تنظيمها.

٤ – بروز العاطفة وصدق الإحساس.

التقويم

١– عرِّف الرسائل الديوانية.

٢– وازِنْ بين الرسائل الديوانية والرسائل الشخصيّة من ناحيتَي: الألفاظ، والعاطفة.

٣– اقرأ الرسالة الآتية وأجب عما يليها :

بَعَثَ محمّد بن عليّ بن أبي طالب المعروف بـ (ابن الحَنَفيّة) إلى أخيه الحسين بن عليّ، قال: «أما بَعدُ، فإنَّ لكَ شَرَفًا لا أَبلُغُه، وفضلاً لا أُدرِكُه، فإنّ أُمّي امرأةٌ من بني حَنيفة، وأُمُّكَ فاطمةُ بنتُ رسول الله ﷺ ولو كان ملءَ الأرضِ نساءٌ مثلُ أمّي ما وَفَيْنَ بأُمِّكَ، فإذا قرأتَ رُقعتي هذه فالبَسْ رِداءَك ونَعْليْكَ، وسِرْ إليَّ لتُرضِيَني، وإيّاكَ أن أسبِقَكَ إلى هذا الفضل الذي أنتَ أَوْلى به منّي. والسّلام».

أ – ما موضوع هذه الرسالة؟

ب– ما الخصائص الفنية التي تميزت بها هذه الرسالة؟

الخَطابة

سايَرَت الخَطابة في العصر الأموي الحياة العامة ومثَّلتْها أصدق تمثيل، وصوّرت أحوال الدولة: السياسية، والدينية، والاجتماعية. ومن أشهر خطباء هذا العصر: الحَسَن بن عليّ بن أبي طالب، وعبد المَلِك بن مروان، وزِياد بن أبيه، والحَجّاج بن يوسُف الثَّقَفي.

تنقسم الخَطابة في العصر الأموي قسمينِ:

١ – الخَطابة السياسية

كانت الخَطابة سلاحًا في صراع التيارات السياسية والفكرية، وكان لكل فريق خُطَباؤه المُنافِحون عنه الذين يستميلون الناس إليه ويَنقُدون خصومه.

ومن الخطب السياسية خُطبة الحسن بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنهما التي يقول فيها:

«نحنُ عِتْرَةُ رسول الله ﷺ الأَقرَبونَ، وأَهلُ بيته الطَّيِّبون الطّاهِرونَ، وأَحَدُ الثَّقَلَيْنِ اللَّذَينِ

خلَّفهما رسولُ الله ﷺ والثّاني كتابُ الله، فيه تفصيلُ كلّ شيء، لا يُخْطِئُنا تأويلُهُ، بل نَتيقَّنُ حقائِقَه، فأطيعونا، فإطاعتُنا مفروضةٌ، إذ كانت بِطاعةِ الله والرّسولِ وأولي الأَمر مَقْرونةٌ ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾[1]، ﴿وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾[2]، وأُحذِّرُكم الإصغاءَ إلى هُتاف الشّيطانِ إنّه لكم عدوٌّ مبين».

خصائص الخَطابة السياسية في العصر الأموي

اتّسمت الخَطابة السياسية في العصر الأموي بعدة خصائص، أهمّها:

١- تصوير روح العصر السياسية.

٢- حسن الألفاظ وجودة المعنى.

٣- الاستدلال بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

٤- الإكثار من أساليب: التوكيد، والأمر، والنهي، والقَسَم.

٢- الخَطابة الدينية

وفيها يَحثّ الخطيبُ الناسَ على الانصراف عن مَتاع الدنيا وعلى التعلق بالآخرة، ويدعوهم إلى الخير والفضيلة والأعمال الصالحة. وخير مثال على هذا النوع من الخطب خُطبة الحسَن البَصْريّ[3] حين قال:

«رحِمَ اللهُ رجُلًا خَلا بكتابِ الله فعَرَضَ عليهِ نفْسَه، فإنْ وافَقَه حَمِدَ ربَّه وسألَه الزّيادةَ من فضلِهِ، وإنْ خالَفَه أَعْتَبَ وأَنابَ، ورجع منْ قريبٍ. رحِمَ اللهُ رجُلاً وعظَ أَخاهُ وأَهْلَه فقالَ: يا أَهْلي، صَلاتَكم صَلاتَكم، زَكاتَكم زَكاتَكم، جيرانَكم جيرانَكم، إخوانَكم إخوانَكم، مساكينَكم مساكينَكم، لعلّ اللهَ يرْحمُكم، فإنّ اللهَ تباركَ وتَعالى أَثْنى على عبدٍ من عبادِهِ فقال: ﴿وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا﴾[4]. يا ابنَ آدمَ، كيفَ تكون مسلمًا ولم يَسلَمْ

(١) سورة النساء، الآية ٥٩.

(٢) سورة النساء، الآية ٨٣.

(٣) هو أبو سعيد الحسَن بن أبي الحسَن يَسار البصري. وُلِد سنة ٢١هـ بالمدينة المنورة، وهو أحد كِبار التابعين.

(٤) سورة مريم، الآية ٥٥.

منكَ جارُك؟ وكيف تكون مؤمنًا ولم يَأمَنْكَ الناسُ؟».

خصائص الخَطابة الدينية في العصر الأموي

من أهم خصائص الخَطابة الدينية في العصر الأموي ما يأتي:

١ – الإكثار من النُّصح والإرشاد.

٢ – الاتّكاء المتكرّر على المعاني الدينية.

٣ – الاقتباس من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة.

٤ – اللغة السهلة المباشَرة التي تبتعد عن التعقيد والغموض.

التقويم

١ – اقرأ خُطبة الأَحْنَف بن قَيْس[١] الآتية، ومثِّل من خلالها على أهمّ خصائص الخَطابة الدينية في العصر الأموي:

«إنّ الكَرَم يَمنعُ الحُرَم[٢]. ما أقربَ النِّقْمةَ من أهلِ البَغْي. رُبَّ هَزْلٍ قد عادَ جِدًّا، وخيرُ القولِ ما صدَّقَه الفعلُ. احتَمِلوا لِمَن أَدَلَّ[٣] عليكم، واقبَلوا عُذرَ من اعتذرَ إليكم. أطِعْ أخاكَ وإن عَصاكَ، وَصِلْهُ وإن جَفاكَ. واعلمْ أنّ كُفر النعمةِ لؤمٌ، وصُحبةَ الجاهلِ شؤمٌ. ومِن الكَرَمِ الوفاء بالذِّمم. لا تَكونَنَّ على الإساءة أقوى منكَ على الإحسانِ، ولا إلى البُخل أسرعَ منكَ إلى البَذْل».

٢ – علِّل: ابتعاد الخطب الدينية عن اللغة المعقَّدة.

(١) الأَحنف بن قيس بن معاوية، اسمه الضَّحّاك وشُهِرَ بـ(الأحنف)، مُخضرَم، مات سنة ٦٧هـ.

(٢) الحُرَم جمعُ (حُرْمة) وهو ما لا يحِلّ انتهاكُه من: ذمّة، أو حق، أو غير ذلك.

(٣) أَدَلَّ: اجترأَ.

الفصل الدراسيّ الثّاني

العصر العباسيّ

ازدهر الأدب في العصر العباسيّ ازدهارًا كبيرًا يفوق على نحو واضح ما كانت الحال عليه في العصور السابقة، ويعود ذلك إلى عدة عوامل منها:

١- اتساع رقعة الحكم الإسلامي اتساعًا كبيرًا أدى إلى اختلاط العرب بغيرهم من الأمم والحضارات، فامتزجت الثقافات: الفارسية، والهندية، واليونانية، وانصهرت في الثقافة العربية والإسلامية في نسيج اجتماعيّ قائم على التنوّع والتعدد في إطار العروبة والإسلام.

٢- نشاط حركة الترجمة، فتُرجِمت الكتب المتنوعة من الفلسفة والمنطق والفَلَك إلى العربية.

٣- ظهور الفِرَق الفكرية الدينية، مثل: الفلاسفة، والمتكلِّمين .

٤- تشجيع الخلفاء العباسيين للعلم والعلماء.

أسهمت هذه العوامل في إيجاد جيل مُبْدِع من الشعراء في هذا العصر، فلمَعَت مجموعة كبيرة من فُحول الشعر في العربية، منهم: أبو العَتاهيَة، وأبو تَمّام، وابن الروميّ، والبُحْتُريّ، والمتنبّي، والمَعَرّيّ.

وقد توسّع شعراء العصر العباسي في الأغراض الشعرية من: وصْف، ومدح، وغزل، وغيرها، وأضافوا معاني شعرية جديدة بما يتناسب مع ظروف العصر: الاجتماعية، والسياسية، والفكرية، كما نرى في: شعر الثورة على نهج القصيدة العربية، وشعر وصْف معالم الحضارة، وشعر الفلسفة والحكمة، وشعر الزُّهد.

كما أثّرت عوامل التعدد والتنوّع الثقافي في العصر العباسي في النثر على نحو أبرز مما كانت عليه الحال في الشعر؛ لأنّ الشعر - وإن ظهرَ فيه نوع من التجديد في المعاني - تَظلّ له تقاليده الفنية الموروثة لا سيما الوزن الشعري، على عكس النثر الذي يمكن أن تتغير تقاليده الفنية على نحو قليل أو كثير، ومن ثَمّ، كان النثر العباسي أَقْدَرَ على استيعاب معظم الثقافات والاتجاهات التي عرَفها العصر.

وقد مال النثر إلى تيسير القوالب اللغوية وإخضاعها للمعاني العلمية والفلسفية الدقيقة الجديدة التي أفرزتها الظروف المحيطة، لكنّه مع ذلك حافظَ على روح العربية وأصالتها، فقد عَمَدَ الكُتّاب إلى الألفاظ والمعاني السهلة الواضحة بأسلوب لغوي متين.

وكما كانت الحال في الشعر برزت في هذا العصر مجموعة من أعلام النثر الذين عُدّوا وما زالوا إلى اليوم شُيوخَ الكتابة في العربية، ومن أشهرهم: ابن المُقَفَّع، والجاحِظ، وابن العَميد، وأبو حَيّان التَّوْحيديّ.

أوّلاً قضايا من الشعر في العصر العباسيّ

الثورة على نَهْج القصيدة العربية

اتخذت القصيدةُ العربيةُ في العصر الجاهليّ شكلا موحَّدًا، إذ استهَلَّ جُلّ شعراء العصر قصائدَهم ومعلّقاتِهم بالبكاءِ على طَلَل الحبيبة والوقوفِ عليه، فيبكي الشاعرُ ذكراها، ثم ينتقلُ بعد ذلك إلى الرِّحلة، ثم إلى موضوع القصيدة أو المعلَّقة، فلا بَدْء للقصيدة دون الطَّلَلِ، هكذا أَلِفَ شعراء تلك الحِقبة هذا النمط البنائي والشكلي للقصيدة العربية .

وفي القرن الأول الهجري لم يختلف الأمر اختلافًا كبيرًا عن ذي قبل، فسار شعراءُ تلك الحِقبة على نَهْج سابقيهم من البكاء على الطَّلَلِ، ومنهم: حَسّانُ بن ثابت، وعبدُ الله بن رَواحة، وكعبُ بن زُهَير.

ولمّا جاء العصر العباسي في القرن الثاني الهجري تغيَّرت الحياة العامة، وطرأت عليها صُنوف من ألوان العيش والسلوك بسبب التّرف والرَّفاهَة الاقتصادية، وصُنوفٌ من الأفكار والعقائد والنِّحَل التي برزت في هذا العصر، ومن ثَمّ، تغيرت بيئة الأدب وحياة الأدباء، فدعا أكثرهم إلى هَجْر المقدِّمات الطَّلَلية والاستعاضة عنها بغيرها مما يمارسه الشاعر ويُعايِشه في حياته.

ويُعَدّ أبو نُوَاس رائدَ التجديد في الشعر العربي، إذ ثارَ في أكثر شعره على بعض التقاليد العربيّة الموروثة، ونَبَذَ الوقوف على الطَّلَل، وفي ذلك يقول:

أَيـا باكِـيَ الأَطْلالِ غَيّرَهـا البِلى ... بكَيْتَ بِعَيْـنٍ لا يَجِفّ لها غَـرْبُ
أَتَنْعَـتُ دارًا قَدْ عَفَـتْ وَتَغيَّرتْ ... فَإنّي لِما سالَمْتَ مِنْ نَعْتِها حَرْبُ

وفي موضع آخرَ يقول:

دَعِ الأطـلالَ تُسفيها الجَنــوبُ وتُبلـي عَهْدَ جِدَّتهـا الخُطـوبُ
وخَـلِّ لراكِـبِ الوَجْنـاءِ أَرْضًـا تَخُـبُّ بهـا النَّجيبـةُ والنَّجيبُ

ويقول أيضًا:

قُلْ لمَنْ يَبكي على رَسْـــمٍ دَرَسْ واقفًا ما ضرَّ لَـوْ كـــانَ جَلَسْ[1]
تصِفُ الرَّبْـعَ ومَـــن كـــانَ بهِ مِثْـــلَ سَلْمـــى ولُبَيْنى وخَنَسْ

ومن الشعراء الذين ثاروا أيضا على تقاليد القصيدة العربيّة بشّار بن بُرْد، فقد ثار على الأطلال ووصْف الصحراء والناقة، فوصفَ السُّفُن والرحلة النهرية، يقول:

إلى أَبي أَحْمَدٍ أَعمَلتُ راحِلةً لاتَشْتَكي الأَيْنَ مِنْ حَلٍّ ومِنْ رِحَلِ
تَسْري بمُلْتَطِمِ الأَمْواجِ تَحسَبُه مِنْ هَوْلِهِ جَبلاً يَعلو على جَبَلِ
كأنَّ راكِبَها إِذْ جَدّ مُرتَحِلاً بالسَّيْرِ منْها مُقيمٌ غيرُ مُرتَحِلِ
ما زالَ سائقُها يَجْري على مَهَلٍ جَرْيًا يَفوتُ اجتهادَ الخَيلِ والإبِلِ

التقويم

١- بيِّن العوامل التي ساعدت على ازدهار الأدب وتطوّره في العصر العباسي.
٢- وضِّح المقصود بالثورة على نهجِ القصيدة العربية.
٣- كان للعوامل الاجتماعية والفكرية أثرٌ في الثورة على نهجِ القصيدة العربية، وضِّح ذلك.
٤- دلِّل من شعر أبي نُواس على ثورته على نهجِ القصيدة العربية.
٥- علِّل: كان النثر العباسي أكثرَ تأثُّرًا من الشعر بظروف العصر: الاجتماعية، والسياسية، والفكرية.
٦- يقول ابن الرّوميّ:

دَعِ الوقوفَ عَلى الأطلالِ والدِّمَنِ وذِكْـــرِ جيرتِكَ الغـــادينَ للظَّعَنِ

وازِن بين ما يدعو إليه ابن الرّوميّ في البيت وما جاء في مطلع معلَّقة زُهير في الفصل الدراسيّ الأول.

(١) الرَّسْم: أثَر الديار . دَرَس: ذهبَ وانمحى.

برزت مظاهر البيئة الحضارية في العصر العباسي على نحو واسع؛ بسبب ما سلف ذكره من الرَّفاهَة الاقتصادية ومظاهر الترف التي شاعت في هذا العصر، فانبرى الشعراء يصفون هذه المظاهر من: قصور، ورياض، وحدائقَ، وسفن، وغيرها، ويعبِّرون عن جمالها الأخّاذ بأجمل الصور حتى أبدعوا في ذلك. ومن صور هذا الوصف:

وصف القصور والبِرَك والحدائق

شيّد الخلفاء العباسيون القصور وبالغوا في بنائها، إذ شيّد الخليفة المتوكِّل مثلًا نحو عشرين قصرًا، وحُلِّيت هذه القصور بالنقوش المذهّبة، وتأنّق مهندسوها في إحكام بنائها وتنظيم أمكنتها. وقد صوّر الشعراء ما شاهدوه من روعة هذه القصور وجمالها، فهذا عليّ بن الجَهْم يصف قصرًا من قصور المتوكّل في سامرّاءَ، ويصور قُبّته الشاهقة التي تُحاكي النجوم وتستمع إلى أسرارها، ونافورته التي تدفع ماءها إلى عِنان السماء في إصرارٍ كأنّ لديها ثأرًا عند الغيوم فتردُّ إليها ماءها، يقول:

وقُبَّـــة فُلْكٍ كـــأنّ النُّجـومَ ... تُفْضي إلَيْهـــــا بأَسْرارِهـــا

لهـــا شُرُفـــاتٌ كَـأنَّ الرَّبيعَ ... كَساهـا الـرِّياضَ بأنْوارِهـــا

وفَـــوّارَة ثَأْرُهـــا في السَّمـــاءِ ... فَلَيسَتْ تُقَصِّـرُ عنَ ثـارِهـــا

تَـــرُدُّ على المُزْنِ ما أنـــزَلَتْ ... عَلى الأرضِ مِنْ صَوْبِ مِدْرارِها[1]

وهذا البُحتُري يصف بركة المتوكّل وينعَتُها بأجمل الصفات وكأنّ جِنَّ سليمان عليه السلام هم الذين أبدعوها وتولَّوْا إنشاءها، إذ تَرفِدها المياه مسرعةَ الجريان كالخيل السريعة، ولأن مياهها صافية تنعكس النجوم ليلاً على سطحها فمن ينظر إليها يجد السماء كأنها رُكِّبت فيها، يقول:

يا مَنْ رَأى البِرْكةَ الحَسْناءَ رُؤيتُها ... والآنِساتِ إذا لاحَتْ مَغانيهـــا[2]

كأنّ جِنَّ سُلَيمانَ الـــذينَ وَلُوا ... إبداعَها فَـأَدَقّوا فـــي مَعانيـهـــا

(١) المُزْن : السحاب يحمل المطر. المِدرار :الكثير الدَّر.

(٢) المَغاني: جمع (مَغنى) وهو المنزل الذي غَنِيَ به أهلهُ.

تَنْحَطُّ فيها وُفودُ الماءِ مُعْجَلَةً كالخَيْلِ خارِجةً من حَبْلِ مُجْريها

إذا النُّجومُ تَراءَتْ في جَوانبِها ليلاً حَسِبتَ سَماءً رُكِّبَتْ فيها

وهذا ابن الرّوميّ يُبدِع لوحة فنية في وصف قصر كثير الأشجار ذات الروائح العبِقة والثمار اليانعة التي تَشْفي من الأمراض، وفيه كثير من الأطيار الفرِحة بهذا الجو السعيد، فيقول:

وتَهاويلَ غير ذاكَ مِنَ الرَّقْـ ـمِ ومِنْ سُندُسٍ ومِنْ زِرْيابِ[1]

في مَياديـنَ يَخْتَرِقْنَ بَساتيـ ـنَ تَمَسُّ الرُّؤوسَ بالأَهْدابِ[2]

ليسَ يَنفكُّ طَيْرُها في اصْطِحابٍ تَحتَ أَظْلالِ أَيْكِها واصْطِحابِ

بينَ أَفْنانِها فَواكِهُ تَشْفي مَنْ تَداوى بِها مِنَ الأَوصابِ

والغَوالي وعَنبرُ الهِندِ والمِسْـ ـكُ عَلى الهام واللِّحى كالخِضابِ[3]

وصف وسائل اللهو والتّسلية

شاعت وسائل اللهو والتسلية في هذا العصر، ومن ذلك لعبة الشِّطْرَنْج التي تنمّي التفكير، وتدعو إلى التأمل والتأني في اتخاذ القرار، فهي معركة بغير دماء، وفي ذلك يقول عليّ بن الجَهْم:

أرضٌ مُربَّعةٌ حَمْراءُ مِن أَدَمٍ مـا بَينَ إلفَيْنِ مَعروفَيْنِ بالكَرَمِ[4]

تَذاكَرا الحَرْبَ فاحْتالا لها فِطَنًا مِنْ غَيرِ أَنْ يأْثَما فيها بسَفْكِ دَمِ

هذا يُغيرُ عَلى هـذا وذاكَ عَلى هذا وعَيْنُ حَليفِ الحَزْمِ لـم تَنَمِ

فانظُرْ إلى بُهَمٍ جاشَتْ بمَعْركةٍ في عَسكرَيْنِ بلا طَبْلٍ ولا عَلَمِ[5]

---

(١) تهاويل: من أنواع الزينة. زرياب : ماء الذَّهَب.

(٢) الأهداب: أغصان الشجر.

(٣) الغَوالي : جمع (غالية) وهو الأخلاط من الطِّيب.

(٤) أَدَم : جِلْد.

(٥) بُهَم : جمع (بُهْمَة) وهو الفارس الشجاع، والمقصود هنا أحجار الشِّطْرَنج. جاشت : اضطربت من حزن أو فزع.

وصف الجسور والنَّواعير

تُعَدّ الجسور والنَّواعير[1] من مظاهر الحضارة التي انتشرت في هذا العصر، إذ كثر إقامتها على الأنهار. فهذا أبو فراس الحَمْدانيّ يصوّر نهرًا في مَنْبِج عليه جسر يربط بين جانبيه، كأنّه صفحة بيضاء خُطَّ عليها سطْر، ويذكّر أبو فراس بقصة موسى عليه السلام وبني إسرائيل في عبور البحر، فيقول:

كأنّما المـــاءُ عَلَيْـــهِ الجِسْرُ ... دَرْجُ بَيـــاضٍ خُطَّ فيـــهِ سَطْرُ

كَأنّمـــــا لَمّـــا استَتَبَّ العَبْرُ ... أُسْـــرةُ موسى يَـــوْمَ شُقَّ البَحْرُ[2]

وأمّا النَّواعير فتوصَف بأنها تُصدِر صوتًا شجيًّا متناغمًا مع إيقاع نقيق الضفادع، والرياح تحرّك أمواج الماء فتأتي غاية في الجمال كسيوف سُلّت من أغمادها، يقول الشاعر:

والغُصْنُ يَرقُصُ والدّولابُ زامِرُهُ ... وللضَّفـــادِعِ إيقـــاعٌ تُرتّبُـــهُ

والماءُ قد عَبِثَت كَفُّ النَّسيم بـــهِ ... كَسَيْفِ مُرتَعِشٍ أَضْحى تُجرِّبُـــهُ

خصائص شعر وصف معالم الحضارة في العصر العباسي

١ – الدّقة في الوصف.

٢ – الابتعاد عن الغرابة والغموض.

٣ – الرقّة في الألفاظ، ودخول بعض الألفاظ غير العربية في لغته.

٤ – الإكثار من الصور الفنّيّة والتشبيهات المُبتكَرة.

٥ – انتشار المقطوعات الشعرية ذات الأوزان الخفيفة.

---

(١) النَّواعير: مفردها (ناعورة) وهو دولاب كبير يُصنع من الخشب يُربَط على الأنهار لحمل الماء إلى السّواقي.

(٢) العَبْر: الشاطئ.

التقويم

١- تأثّرت مضامين الشعر العباسي وأغراضه بظروف العصر الاقتصادية والاجتماعية، اشرح هذا القول بناء على دراستك لشعر وصف معالم الحضارة.

٢- اذكر ثلاثة من معالم الحضارة التي وصفها الشعر العباسي، ممثّلًا ببعض الأشعار على وصف كل مَعْلَم.

٣- مثّل من خلال الأبيات التي درستَها على خاصيّة الدّقّة في الوصف في شعر وصْف معالم الحضارة في العصر العباسيّ.

٤- أيُّ شعراء وصْف معالم الحضارة في العصر العباسيّ أعجبكَ؟ ولماذا؟

النّشاط

عُدْ إلى قصيدة البُحتُريّ في وصْف بِرْكة المتوكِّل في كتاب اللغة العربية للصف الحادي عشر، وتبيَّن من خلالها أهم خصائص شعر وصْف معالم الحضارة في العصر العباسيّ.

شعر الفلسفة والحكمة

كان لشيوع الفلسفة في العصر العباسي أثره الواضح في الشعر؛ إذ انعكست آثار هذا العلم في الشعر العباسي من نواحي: المعاني، والألفاظ، والصور الفنية، والأساليب. ومن أشهر الشعراء هنا: أبو تَمّام الطائيّ، وأبو العلاء المَعَريّ.

وفي أواخر العصر العباسي ضَعُفت الخلافة العباسية، وغاب سلطان العرب، وسيطر العجم على مقاليد الحكم، وظهرت الأمراض الاجتماعية، مثل: النفاق، والجُبْن، والحَسَد، فكثر شعر الحكمة، ونظمَ كثير من الشعراء أبياتًا من الحكمة تمثِّل تجارِبهم وخبراتهم في الحياة، وتعكس الواقع الذي يعيشه الناس. ويمثّل شعرَ الحكمة أبو الطَّيِّب المتنبّي.

أبو تَمّام

حياته

هو حَبيب بن أَوْسٍ الطائيّ. وُلِد في قرية جاسِم بين دمشق وطبريّة سنة ١٨٨هـ، ونشأ في أسرة ميسورة الحال. تردّد على مساجد دمشق واستمع إلى العلماء. انتقل أبو تمّام إلى مصر وتردّد على جامع عمرو بن العاص، ثم عاد إلى الشام، ومن ثم إلى العراق، حيث اتصل بالخليفة المُعتصِم، فمدحه ومدح وُزَراءه وقادته بقصائد كثيرة، وأصبح شاعر الخلافة العباسية في زمنه. تُوفِّي سنة ٢٣١ هـ.

شِعره

كان أبو تَمّام كثير الاطّلاع، واسع الثقافة، حادّ الذكاء، على قدْر من الفلسفة اليونانية والفارسية وعلم الكلام وما يتصل به من المنطق، وقد ظهر ذلك في شعره فتميّز بالخصائص الآتية:

١- المَيْل إلى العمق وابتكار المعاني والصُّور الجديدة؛ ما يحتاج إلى إِعمال العقل والفكْر، ومن ذلك ما في قوله في وصْف الجوّ في الربيع:

مَطَرٌ يَذوبُ الصَّحْوُ مِنْــهُ وبَعْدَهُ صَحوٌ يَكادُ مِــن الغَضارة يُمطِرُ

غَيْثانِ فالأَنواءُ غَيثٌ ظاهـــــــرٌ لكَ وَجْهُهُ والصَّحْوُ غَيثٌ مُضْمَرُ[1]

ونَــدًى إذا ادّهَنَتْ بهِ لِمَمُ الثَّرى خِلْتَ السَّحــابَ أتاهُ وهْوَ مُعَذِّرُ

إذ تارةً تُمطِر السماء فيزول الصحو، وتارة يتوقف المطر لكن الغضارة تجعله مطرًا في صورة الصحو؛ فيكون المطر نوعين: مطرًا ظاهرًا، ومطرًا مضمَرًا، وحَبّات الندى تترقرق على لِمَم الثرى أي الأشجار كأنها الطِّيبُ تساقط من السحاب، والسحاب بذلك كأنه أتى الثَّرى معتذرًا.

ومن صُوَره ومعانيه الجديدة كذلك قوله مصوِّرًا دموعه وبكاءه:

لا تسْقِني مـــاءَ المَلامِ فإنَّنـــي صَبٌّ قد استَعْذَبْتُ ماءَ بُكائـــي

فقد جعل للمَلام ماءً وجعل في ثنايا بكاء العاشق الحزين لَذّة بالبكاء.

٢- استخدام الأدلّة المنطقية والبراهين العقلية، كما في قوله لمن عذلَتْه على ضيق ذات اليد:

لا تُنْكري عَطَلَ الكَريمِ مِنَ الغِنى فالسَّيْلُ حَرْبٌ للمَكـــانِ العالي[2]

وقوله في تحبيب السَّفَر والتّرحال:

وطولُ مقامِ المَرْءِ في الحَيِّ مُخْلِقٌ لديباجتَيْـهِ فاغتَرِبْ تَتَجَـــــدّدِ[3]

فإنّي رأيْتُ الشّمس زيدَتْ مَحَبّةً إلى النّاس أَنْ لَيسَتْ عَليهِمْ بِسَرْمَدِ

٣- استخدام ألفاظ الفلاسفة والمتكلِّمين، إذ يقول مثلًا:

لنْ يَنالَ العُلى خُصوصًا مِن الفِتْـ يانِ مَن لَـمْ يَكُـــنْ نَداهُ عُمومـا

فلفظتا: (العموم، والخصوص) من ألفاظ الفلسفة وعلم الكلام.

ويقول في ذمّ سؤال الناس:

ذُلُّ السّؤالِ شَجىً في الحَلْقِ مُعترِضٌ مِن دونِهِ شَرَقٌ مِن خَلْفِـــهِ جَرَضُ[4]

مَـودَّةٌ ذهبَتْ أثمارُهـــــا شُبَهٌ وهِمَّةٌ جَوْهــرٌ مَعْروفُهـا عَرَضُ

---

(١) الأنْواء: الأمطار الغزيرة.

(٢) العَطَل: الخُلُوّ.

(٣) مُخلِق لديباجتَيْه: سببٌ في بذْلِ ماء وجهه.

(٤) جَرَض: غُصّة.

فلفظتا: (الجوهر، والعَرَض) كذلك من ألفاظ الفلاسفة والمتكلِّمين.

٤- الإكثار من ضُروب البديع، فقد أُولِع أبو تمّام بتوظيف ضُروب البديع من: جناس، وطباق، ومُقابَلة، ومُوازَنة، وغيرها، كما في قوله مادحًا الخليفة المعتصم وواصفًا يوم عموريّة:

غادَرْتَ فيها بَهيمَ اللّيلِ وهْوَ ضُحًى ... يَشُلُّــهُ وَسْطَها صُبحٌ مِن اللّهَبِ[١]

حتّى كأنَّ جَلابيبَ الدُّجى رَغِبَتْ ... عن لَوْنِها وكَأنّ الشّمسَ لَم تَغِبِ

ضَوْءٌ من النّارِ والظَّلماءُ عاكِفَــةٌ ... وظُلْمةٌ من دُخانٍ في ضُحًى شَحِبِ

فالشَّمْسُ طالعةٌ مِن ذا وقدْ أَفَلَتْ ... والشّمسُ واجِبةٌ مِن ذا ولَمْ تَجِبِ[٢]

التقويم

١ – وضِّح مظاهر تأثّر شعر أبي تمام بالفلسفة وعلم الكلام.

٢ – سأل الفيلسوف الكِنْدِيّ أبا تمّام: "لِمَ تقولُ ما لا يُفهَم؟ فقال أبو تمّام: وأنتَ، لِمَ لا تفهمُ ما يقال؟"، وضِّح معنى كلام الكِنْدِيّ من خلال ما درست.

٣ – مثِّل على خصيصة استخدام الأدلة المنطقية والبراهين العقلية في شعر أبي تمّام.

٤ – ما المنطق الذي استندَ إليه أبو تمّام في تحبيب السَّفَر والتّرحال؟ وما رأيكَ أنت؟

(١) بَهيم الليل: عتمة الليل. يَشلُّه: يطرده.

(٢) أفَلَت: غَرَبت. واجبة: غاربة.

أبو العلاء المَعَرِّيّ

حياته

هو أحمد بن عبد الله التّنوخيّ المَعَرِّيّ. شاعر وأديب، وُلِد في مَعَرَّة النعمان[1] عام ٣٦٣هـ. كان أبوه من أفاضل العلماء وجَدُّهُ قاضيًا بالمَعَرّة. فَقَدَ بَصَره في الرابعة من العمر، فنشأ ضريرًا، لكن ذلك لم يَثْنه عن طلب العلم وتحصيل الشهرة، فدرَسَ علوم: اللغة، والأدب، والحديث، والتفسير، والفقه، والشعر، وكان عالمًا بالأديان والمذاهب وعقائد الفِرَق والتاريخ والأخبار. جاء نَعْي أُمّه وهو في بغداد، فعاد إلى المَعَرّة واحتبس في بيته؛ فلُقب بِـ (رهَين المَحْبِسَيْنِ)، أي مَحْبِس العَمى، ومَحْبِس البيت.

شرع أبو العلاء في التأليف والتصنيف ملازِمًا بيته، وعاش زاهدًا في الدنيا، معرِضًا عن لَذّاتها، وحرّم على نفسه الزواج؛ حتى لا يتعرض نَسْله – مثلما يَرى – للؤم الناس وبؤس الحياة، ولم تزل تلك حالَه حتى تُوفِّي عام ٤٤٩هـ ، ودُفِن في منزله بمَعَرّة النّعمان.

آثاره

ترك أبو العلاء المَعَرّيّ نحو سبعين مؤلَّفًا بين نثر وشعر، وبعض مؤلَّفاته لم تصل إلينا، ومن الذي وصل إلينا من نثره وتمّ تحقيقه وطباعته: رسالة الغُفْران، ورسائل أبي العلاء، ورسالة الملائكة، وشرح ديوان البُحتُريّ (عَبَثُ الوليد)، وشرح ديوان أبي تمّام (ذكرى حَبيب).

شعره

ما وصلَ إلينا من شعر المَعَرّي:

١- **سِقْط الزَّنْد**: ديوان شعر نَظَمَه في صِباه بعد رجوعه من بغداد، وسمَّاه بذلك؛ لأن السِّقْط أوّل نار تخرج من الزَّنْد[2]، فشبّه شعره الأوّل به. جرى فيه على النحو الذي جرى عليه كل الشعراء السابقين من: رثاء، ومدح، وفخر، وهجاء، ووصف.

---

(١) مَعَرَّة النعمان: قرية صغيرة بين حمص وحلب في سورية.

(٢) الزَّنْد : الحجَر الذي يُقتدَح به.

٢- **اللُّزوميّات أو (لُزوم ما لا يَلزَم)**: فقد ألزمَ المَعَرّيّ نفسه ما لا يلزم في الشعر من اعتماد الحرفينِ الأخيرينِ رَوِيًّا، مثال ذلك قوله:

تُعَدُّ ذُنوبي عندَ قَـــوْمٍ كَثيـرةً وَلا ذَنْبَ لي إلّا الـعُلا والفَضائلُ

وإنّي وإنْ كنتُ الأَخيرَ زَمانُـــهُ لَآتٍ بِما لَـــمْ تستَطِعْهُ الأَوائلُ

وقد تأثّر المَعَرّيّ بمختلِف الفلسفات التي سادت في عصره، وأضاف إليها تجرِبته الشخصية، وقد انعكس ذلك في شعره فتميزت شاعريّته بخصائص من أهمها:

١- تمجيدُ العقل والإعلاءُ من شأنه، فهو يقول:

كَـــذَبَ الظَّنُّ لا إمـــامَ سِوى الـ ـعَقْلِ مُشيرًا في صُبْحِهِ والمَساءِ

فَـــإذا ما أَطَعْتَـــــهُ جلَبَ الـ ـرَّحْمةَ عندَ المَسيرِ والإِرْســـاءِ

٢- غَلَبَة الفلسفة التشاؤمية، فاعتزلَ المَعرّيّ الناسَ، وحرَّم على نفسه الطيِّبات، ويظهر ذلك في قوله:

اجتَنِبِ النّاسَ وعِشْ واحِـــدًا لا تَظْلِمِ القَـــــوْمَ ولا تُظلَـــمِ

وقوله:

لَـــمْ تَعُدْ في القلوبِ نَبضَةُ حُبٍّ جَفَّ نَبعُ الحَنانِ والقَلبُ صـــادِ

فاضَ فينا الدَّمـــــارُ حتّى كَأنّـــا قَد جَمَعْنا الدَّمارَ مِنْ عَهْدِ عـــادِ

أرّقَتْنا الدُّموعُ واللَّيلُ جـــــاثٍ فَوقَ أَرْضٍ تَخرُّ فَوقَ الرَّمـــــادِ

ويساوي المَعَرّيّ بين الحياة والموت، فلا فرق عنده بين الفرح بالولادة أو البكاء عند الفَناء، ولا يعلم هل هديل الحمام بكاء من مأساة الوجود أو هو غناء حبًّا بالبقاء، ويرى الحياة كلها تعبًا فيتعجب ممن يرغب فيها، يقول:

غَيرُ مُجْـــدٍ في مِلَّتي واعتِقادي نَـوْحُ باكٍ ولا تَرَنُّـــــمُ شـــادِ

وشَبيهُ صَـوْتُ النَّعِيِّ إذا قيـــــ ـسَ بصَوْتِ البَشيرِ في كُلِّ نـــادِ

أبَكَـتْ تِلْكُمُ الحَمـــامةُ أم غَنْـــ نَتْ على فَرعِ غُصْنِها المَيّـــادِ؟

صاحِ هذي قُبورُنا تَمْلأ الرّحْـــ بَ فأين القُبورُ مِن عَهدِ عـــادِ؟[1]

خَفِّفِ الوَطْءَ ما أَظُـنُّ أَديمَ الـــ أَرضِ إلاّ مِنْ هذِهِ الأجْســـادِ

تَعَبٌ كلُّها الحَياةُ فما أَعْـــــ جَبُ إلاّ مِن راغِبٍ في ازدِيـــادِ

٣- نقْدُ الحياة الاجتماعية السائدة في عصره، بما يراه فيها من الجَهْل والغفلة والتقليد، فهو القائل:

قَدْ صَدّقَ النّاسُ ما الألْبابُ تُبطِلُه حتّى لَظَنّوا عَجوزًا تَحْلُبُ القَمَرا

أَناقـــةٌ هُـــوَ أم شاةٌ فَيَمْنَحَـها عُسًّا تُغيثُ به الأَضْيافَ أو غُمَرا؟[2]

التقويم

١- لُقِّب أبو العلاء المَعَرّيّ بـِ (رهين المَحبِسين)، لكنّه يقول:

أَراني في الثّلاثَةِ مِن سُجـــوني فَلا تَسْـــأَلْ عن الخَبَرِ النَّبيثِ[3]

لِفَقْدِيَ ناظِري ولُـــزومِ بَيتي وَكَونِ النَّفْسِ في الجَسَدِ الخَبيثِ

كيف تربط بين لقبه عند الناس وقوله عن نفسه؟

٢- يتبنّى أبو العلاء نظرة فلسفية خاصّة للحياة:

أ - وضِّح ذلك.

ب- ما رأيكَ في هذه الفلسفة؟

٣- ما دلالة غزارة مؤلَّفات المَعَرّيّ وتنوُّعها؟

٤- وضِّح المقصود بـِ (اللُّزوميّات).

٥- وضِّح الخاصِيّة الشعرية التي يمثّلها كلُّ بيت من الأبيات الآتية في شعر المَعَرّيّ:

أ - قَد صَدّقَ النّاسُ ما الألْبابُ تُبطِلُه حَتّى لَظَنّوا عَجوزًا تَحْلُبُ القَمَرا

ب- كَذَبَ الظَّنُّ لا إمامَ سِوى الـــ ـعَقْلِ مُشيرًا في صُبْحِهِ والمَســاءِ

جـ- غَيرُ مُجْدٍ في مِلَّتي واعتِقـــادي نَـــوْحُ باكٍ ولا تَرَنُّـمُ شـــادِ

(١) صاحِ : أصلها يا صاحِبُ، حُذِفُ حرف النداء، وحُذِفت الباء للترخيم.

(٢) العُسّ: القَدَح الكبير. الغُمَر : قَدَح صغير يَقتسِم القوم به الماء بينهم إذا قلّ في السفر.

(٣) النَّبيث: السيئ والخبيث.

النّشاط

قال أبو العلاء المَعَرّيّ:

هـــذا جَنـــاهُ أَبـــي عَـلَيّ ومـــا جَنَيْتُ علـــى أحَـــدْ

وقال أحمد شوقي:

بَيْني وبَيْنَ أبي العَـــــلاءِ قَضِيَّـــةٌ في البِرِّ أَستَرْعي لها الـحُكَمـــاءَ

هُـــوَ قَدْ رَأَى نُعْمـــى أَبيـــهِ جِنايةً وأَرى الجِنايـــــةَ مِنْ أَبي نَعْماءَ

وازِن بين القولين، مبديًا رأيك فيهما.

أبو الطّيّب المتنبّي

حياته

هو أبو الطّيّب أحمد بن الحسين الجُعْفي الكِنْدِيّ. وُلِد في الكوفة سنة ٣٠٣ هـ. ظهرت عليه علامات النبوغ والذكاء مبكِّرًا، حتى قيل بأنه نَظَمَ الشعر وهو لم يتجاوز العاشرة، وبعض ما كتبَهُ في هذه السن موجود في ديوانه. رحلَ مع والده إلى بادية السَّماوة في الثانية عشرة من عمره، وأقام فيها سنتين اكتسب فيهما اللغة السليمة الفصيحة من أفواه الأعراب، والفروسية والشجاعة، ثم عاد إلى الكوفة وأخذ يدرس الشعر العربي ولا سيما شعر أبي تمّام والبُحتُريّ.

اتصل بسَيْف الدولة الحَمْداني في حلب إعجابًا به، فسَيْف الدولة أمير عربي يمثِّل سلطان العرب في وقت سيطَرَ فيه العَجَم على الحُكم في الدولة. وهنا بدأت مرحلة جديدة من حياته، فقد مكث في بلاط سَيْف الدولة في حلب تسع سنوات، قال فيها أجمل قصائده التي صوّر فيها بطولة سيف الدولة وشجاعته في حروبه مع الروم. ثم بدأ الحُسّاد والوُشاة يَكيدون له ويحرِّضون عليه؛ فتأثّر سيف الدولة بكلامهم وأخذ يُعرِض عن شعر المتنبّي، حتى ضاق المتنبّي ذَرْعًا ورحل عن حلب، فتوجّه إلى مصر واتصل بكافور الإِخشيدِيّ ومدحه بقصائد كثيرة، ثم رحل عن مصر ليلة

عيد الأضحى سنة ٣٥٠ هـ، وتوجّه إلى العراق وبلاد فارس. وقد أرسل إليه سيف الدولة ليعود، لكنه رفض تلبية الدعوة لكبريائه. وفي أثناء عودته إلى الكوفة خرج عليه فاتِكٌ الأَسديّ في نحو عشرين من رجاله، ودار بينه وبينهم عِراك انتهى بمقتل المتنبّي سنة ٣٥٤هـ بعد حياة حافلة بالعطاء والإبداع. وقد اتصف المتنبّي بما يأتي:

١- الكبرياء والاعتداد بالنفس، فقد اشترط على سيف الدولة أن يُنشِده الشعر وهو جالس، واتخذ حُسّاده وأعداؤه من هذه الصفة مدخلاً لتأليب سيف الدولة عليه وتنفيره منه. كما أنه لم يُغفل ذِكر نفسه في قصائده مهما علا قدْر الممدوح.

٢- الطموح إلى المجد، فالطموح لم يفارق شخصية المتنبّي.

٣- الانحياز للعرب، فقد عاش في عصر ضَعُفت فيه شَوْكة العرب، وسيطر العَجَم على معظم البلاد الإسلامية.

شعره

نَظَمَ المتنبّي في معظم الأغراض الشعرية وأجادَ فيها، وبَرَعَ في شعر الحكمة. ولم يكن شعر الحكمة لديه في قصائد مستقلّة بذاتها، بل جاء أبياتًا متناثرةً في قصائده ومرتبطة بموضوعاتها. ولا شك في أن صفات المتنبّي الشخصية كالكبرياء، والعزة، والطموح، وما تحتاج إليه من جدّ ومشقة وتعب، ورفضه حياة الذُّل والهَوان، في وقت سيطر فيه العَجَم وكثُرَت الأمراض الاجتماعية كالنفاق، والجُبْن، والحَسَد، وقَلَّ الأصدقاء الحقيقيون، تُعدّ مصادر غنية لشعره في الحكمة.

ومن مظاهر الحكمة في شعر المتنبّي:

١- كان المتنبّي منذ صغره طموحًا، لا يرضى إلا بالمعالي، فكان دائمًا يَلهَج بالمجد والسُّؤدَد ويدعو إلى السّعي الحثيث إليهما، فهو القائل:

ومَن يَبْغِ ما أَبْغي من المَجْدِ والعُلا تَســاوى المُحايِي عِندَهُ والمُقاتِلُ[١]

(١) المُحايي: الذي يحبّ الحياة.

ويقول:

إذا غامَرْتَ في شَرَفٍ مَـــــرُومٍ فلا تَقنَعْ بما دونَ النُّجـــــــومِ

فطَعْمُ المَوتِ في أَمْـــــرٍ حَقيرٍ كطَعمِ المَوتِ في أَمْرٍ عَظيـــمِ

٢- طريق الطموح والأمجاد ليس مفروشًا بالورد، بل يحتاج إلى التميز والاستعداد للتعب والجِدّ والبذل والمعاناة والسَّهر، فلا يكون بالأماني والأقوال، و كثيرًا ما تردّدت هذه المعاني في شعر الحكمة عند المتنبّي، ومن ذلك قوله:

لَوْلا المَشَقّةُ سادَ النّاسُ كُلُّهُـــمُ الجـودُ يُفقِرُ والإِقْـــدامُ قَتّـالُ

لا يُدرِكُ المَجْـــدَ إلاّ سَيِّدٌ فَطِنٌ لِما يَشُقُّ على السّاداتِ فَعّـــالُ

وقوله:

وإذا كـــــانتِ النُّفوسُ كِبارًا تَعبَتْ فـي مُرادِهـــا الأَجْسامُ

وقوله:

على قَدْرِ أَهْلِ العَزْمِ تَأْتي العَزائِـمُ وتَأْتي عَلى قَدْرِ الكِرامِ المَـكارمُ

وتَعْظُمُ في عَيْنِ الصّغيرِ صِغارُهـا وتَصْغُرُ في عَينِ العَظيـمِ العَظائِمُ

٣- في المقابل يدعو المتنبّي إلى رفض حياة الذُّل والهَوان والخوف، ويفضِّل الموت بعزّة وشجاعة وكرامة، يقول:

ذَلّ مَنْ يَغْبِـــطُ الذَّليـــلَ بعَيْشٍ رُبَّ عَيْشٍ أخَفُّ مِنهُ الحِمـــــامُ[1]

مَنْ يَهُـــنْ يَسْهُـلِ الهَـوانُ عَليهِ مـــــا لجُـــرْحٍ بمَيّتٍ إيـــلامُ

ويقول:

وإذا لَمْ يَكُـنْ من المَـــوْتِ بُدّ فمِنَ العَجْزِ أنْ تَكـــونَ جَبانـا

ويقول:

عِشْ عَـزيزًا أو مُتْ وأنتَ كَريمٌ بَينَ طَعْنِ القَنا وخَفْـــقِ البُنودِ

---

(١) الحِمام: الموت.

٤– يرى المتنبّي المالَ وسيلةً لتحقيق الطموح وأسباب العزّة والمجد وليس غايةً في حدّ ذاته، وقد يكون الكلام الطّيّب أفضل من المال والعطايا، يقول المتنبّي:

لا خَيْـلَ عِندَكَ تُهْديها ولا مـالُ فَليُسْعِدِ النُّطقُ إنْ لم تُسعِدِ الحالُ

وما شَكَرْتُ لأنّ المـالَ فَرّحَني سِيّانِ عِندِيَ إكثـارٌ وإقْـلالُ

٥– يرى أيضًا أنّ أفضل ما يَكسِبه الإنسان في حياته صديقٌ مخلِص وفيّ يَركَنُ إليه، وحين يُفتقَدُ يصبح العدوّ صديقًا، يقول المتنبي:

شَرُّ البِـلادِ مَكانٌ لا صَـديقَ بِهِ وشَرُّ ما يَكسِبُ الإنسانُ ما يَصِمُ[1]

ويقول أيضًا:

ومِن نَكَدِ الدّنْيا على الحُرّ أنْ يَرى عَـدُوًّا لَـهُ ما مِـنْ صَداقتِهِ بُـدُّ

٦– ولا تخلو الحياة من الحُسّاد والوُشاة والنمّامين الذين يَسعَوْن لتعكير صفْو العَلاقات بين الأصدقاء، ويحسُدون ذا المجد والسّؤدَد والهمة العالية، يقول ذامًّا الحُسّاد والوُشاة:

وإذا أتَتْـكَ مَذَمَّتي مـن ناقِصٍ فَهِيَ الشَّهادةُ لـي بأنّـي كامِلُ

التقويم

١– وضِّح – من خلال ما درست – مصادر شعر الحكمة لدى المتنبّي.

٢– علِّل: لم يُغْفِل المتنبّي ذِكرَ نفسه في القصيدة مهما عَلا شأن الممدوح.

٣– بيِّن الحكمة المستخلَصة من كلّ من الأبيات الآتية:

أ – لا خَيْلَ عِندَكَ تُهْديها ولا مالُ فَليُسْعِدِ النُّطقُ إنْ لم تُسعِدِ الحالُ

ب– وإذا لم يَكنْ من المَوْتِ بُـدٌّ فمِنَ العَجْزِ أنْ تَكـونَ جَبانـا

جـ– لا يُدرِكُ المَجْدَ إلاّ سَيِّدٌ فَطِنٌ لِما يَشُقُّ على السّاداتِ فَعّـالُ

٤– هاتِ موقفًا حياتيًّا تُقال فيه الحكمة الآتية:

إذا غامَرْتَ في شَـرَفٍ مَرُومٍ فلا تَقنَعْ بمـا دونَ النُّجـومِ

(١) يَصِمُ: يُلحِق به العار.

شعر الزُّهد

هو فنّ جديد من فنون الشعر، يمتاز بروحيَّته الصادقة التي تنبعث من نفْس مؤمنة بالله، وقلوبٍ خاشعة مُفعَمة بالإيمان تتوق إلى مَرضاة الله والتمتّع بنعيمه الخالد.

فقد تضافرتْ في العصر العباسيّ مجموعةٌ من العوامل: السياسية، والاجتماعية، والفكرية، المختلفة، وساعدت على نشوء جوّ مُشِعّ بالروحية والحياة الدينية الصادقة؛ ما أدّى إلى ظهور موجة الزُّهد وازدهارها. إذ عُرِف عن الحياة السياسية في العصر العباسي أنها حياة مضطربة. ومن ناحية اجتماعية فقد بلغت الرَّفاهَة الاقتصادية مداها في هذا العصر، وكان تيّار التّرَف شديدًا جارفًا؛ فكان هذا مَدْعاة لدى بعضهم إلى الانصراف عن مشاغل الحياة الدنيا وخلافاتها السياسية وتَرَفها، والاتجاهِ نحو الروحانية والزُّهد لا سيما لدى الفئات الفقيرة. أمّا الحياة الفكرية في هذا العصر فقد تطوّرت بشكل ليس له مثيل، حيث تلاقت في الدولة العباسية الثقافات المختلفة نتيجة لامتزاج الشعوب، فشجّع ذلك أيضًا ظهور موجة الزُّهد وازدهارها.

ولمّا كان الشعر مرآةَ الواقع فقد ظهرت فيه أصداء موجة الزُّهد، إذ اتّخذ بعض الشعراء هذا المنحى في حياتهم فعاشوا زاهِدين، وانعكست آثار ذلك في شعرهم. ومن أهم شعراء الزُّهد في العصر العباسي: أبو العَتاهِيَة، وأبو نُواس في آخر حياته، ومن النّساء الجارِيَة رَيْحانة.

موضوعات شعر الزُّهد في العصر العباسي

من أبرز الموضوعات التي تناولها شعر الزُّهد في العصر العباسي: الحُبّ الإلهيّ، والدعوةُ إلى مخالَفة النّفْس والتحكّم بها، والحثُّ على الفضيلة، وذكرُ الموت.

فهذه الجارية رَيْحانة تُصوِّر حبّها لله تعالى فتقول:

حَسْب المُحِبِّ مِنَ الحَبيبِ بعِلْمِهِ ... أنّ المُحِبَّ ببابِهِ مَطـــــــروحُ

والقَلبُ فيهِ وإنْ تَنفَّسَ في الدُّجى ... بِسِهام لَوْعاتِ الهَوى مَجــروحُ

ومن الدعوة إلى مخالَفة النّفْس والتحكّم بها قول أبي نُواس:

وللنَّفْسِ دونَ العارِفـــاتِ صُعوبةٌ فإنْ صَعُبَتْ يَومًا عَليكَ فَهَوِّنْهـا

وللنَّفْسِ طَيْرٌ يَنْتَفِضْنَ إلى الهَـــوى بأجْنِحَةٍ تَهْـــوي إليـهِ فَسَكِّنْها

ويقول الشافعيّ في الحثّ على الفضيلة والكفّ عن شَهَوات الدنيا ومَطامِعها:

يا مَنْ يُعانِقُ دُنْيـــا لا بَقـــاءَ لَهـــا يُمْسي ويُصْبِحُ في دنْياهُ سَفّـــارا

هَلاّ تَرَكْتَ لِـــذي الدُّنيـــا مُعانَقةً حتّى تُعانقَ في الفِرْدَوْس أبْكـارا

ويقول أبو العَتاهِيَة في ذِكر الموت وضرورة الاستعداد لما بَعده:

أيُّها المُزْمِعُ الرّحيلَ عنِ الدُّنْـــــا يا تَزَوّدْ لِذاكَ مِـــــنْ خَـــيْرِ زادِ

ويقول أيضا:

يَعِزُّ دِفاعُ المَوتِ عَن كُلِّ حيلـــةٍ ويَعْيا بـــداءِ المَـــوتِ كُـلُّ دَواءِ

خصائص شعر الزُّهد في العصر العباسي

يتّسم شعر الزُّهد في العصر العباسي بمجموعة من الخصائص، أهمّها:

١- استعمال الألفاظ والمعاني السهلة الواضحة القريبة من الفهم.

٢- غزارة المضامين الدينيّة.

٣- وضوح الصُّور الفنية، وقلّة المحسّنات البديعية.

٤- استخدام أسلوب الخطاب المباشَر.

التقويم

١- عرِّف شعر الزُّهد في العصر العباسيّ.

٢- وضِّح العوامل التي أدت إلى ظهور شعر الزُّهد وازدهاره في العصر العباسيّ.

٣- اذكر أهم موضوعات شعر الزُّهد، ممثِّلًا عليها بالأشعار.

٤- من خصائص شعر الزُّهد وضوح الصُّور الفنية، وضِّح هذه الخاصيّة من خلال قول أبي نُواس:

وللنَّفْسِ طَيْرٌ يَنْتَفِضْنَ إلى الهَــوى بأَجْنـحَةٍ تَهْوي إليهِ فَسَكِّنْهــا

ثانيًا النَّثْر في العصر العباسي

ظهر في هذا العصر عدد كبير من الكُتّاب المُبدِعين من أصول عربية وغير عربية مَلَكوا زِمام الكتابة وأتقنوا فنون التعبير، ووضعوا كثيرًا من المصنَّفات التي عكست خصائصهم الأسلوبية، وأغنت الأدب العربي في عصوره اللاحقة، فكان لها أثرُها الواضح في مَن جاء بعدهم من كُتّاب وأدباء، ومن هؤلاء: ابن المُقَفَّع، والجاحظ، وابنُ العَميد، وأبو حَيّان التَّوْحيدِيُّ.

ابن المُقَفَّع

نشأته وحياته

هو عبد الله بن المقفَّع، فارسيّ الأصل، وُلِد نحو سنة ١٠٦هـ في جور[١] في فارس. انصرف إلى تحصيل الثقافة الفارسية، ودرسَ إلى جانبها الثقافة اليونانية. رحلَ مع أبيه إلى البصرة فتلقى فيها مبادئ الفصاحة والبيان، وفنون الأدب، وأتقن اللغة العربية إلى جانب اللغتين: الفارسية، واليونانية، وهو بذلك يمثِّل ظاهرة امتزاج الثقافات، التي عملت على تكوين شخصيته تكوينًا نادرًا. عاش في الدولتين: الأموية، والعباسية، وهو بذلك من مُخَضْرَمي كُتّاب الدولتين.

ذهبت أغلب المصادر التاريخية إلى أنّ ابن المقفَّع مات مقتولًا سنةَ ١٤٢هـ.

آثاره

من أشهر آثار ابن المقفَّع:

كَليلَة ودِمْنَة: كتاب وُضِع على ألسنة البهائم والطيور. وهو من أصل هنديّ وترجمَه ابن المقفَّع عن الفَهْلَوِيّة (الفارسية القديمة) إلى العربية. وسُمِّيَ بهذا الاسم نسبة إلى شخصيتين قَصصيتين في إحدى أقاصيص الكتاب، هما: كَليلَة، ودِمْنَة. وهو كتاب في تقويم الأخلاق بالعِظَة ورياضة العقول بالحكمة. وتُرجِم من العربية إلى سائر اللغات.

---

(١) جور: هي مدينة (فيروز آباد) الإيرانية اليوم، وإليها يُنسَب الورد الجوريّ.

الأدب الصغير: كُتيِّب حمل دروسًا خُلُقية اجتماعية تحثّ على طلب العلم، وتهذيب النفس وترويضها ومحاسبتها، ومعرفة الخالق، وهو يدعو إلى جمع المال والقناعة بالقليل منه خوفًا من الفقر.

الأدب الكبير: قُسِم قسمين: الأول: يتناول السلطان وما ينبغي له أن يتحلّى به من الخِصال الحميدة، وأن يتّخذ بِطانته من أهل الدين والمروءة، ويوصيه ألا يُعاجِل بالثواب ولا بالعقاب. والثاني: يتناول فيه الصَّديق، وقد عُرِف عن ابن المقفَّع عظيمُ المودة والوفاء للأصدقاء.

نموذج من نثره

جاءَ في (الأدب الصغير):

« لِيَكُنِ المرءُ سَؤولًا، ولْيَكُنْ فَصولًا بينَ الحقِّ والباطلِ، ولْيَكُنْ صَدوقًا لِيُؤَمَّنَ على ما قالَ، ولْيَكُنْ ذا عهدٍ لِيُوَفّى له بِعهدِهِ ... وَلْيَكُنْ متواضعًا لِيُفْرَحَ له بالخيرِ ولا يُحْسَدَ عليهِ، وَلْيَكُنْ قَنِعًا لِتَقَرَّ عَيْنُهُ بما أُوتِيَ، وَلْيُسِرَّ للنّاسِ بالخيرِ لئلاّ يُؤْذِيَهُ الحَسَدُ، ولْيَكُنْ حَذِرًا لِئَلاّ تَطولَ مَخافَتُه، ولا يَكونَنَّ حَقودًا لِئَلاّ يَضُرَّ بِنَفْسِهِ إِضرارًا باقِيًا».

أسلوبه

جَمَعَ ابن المقفَّع في نثره بين الثقافتين: الفارسية، والعربية، إضافةً إلى التأثُّر بالثقافة اليونانية، فتميز نثره بما يأتي:

١- العناية البالغة بالمعنى، فكان يختار اللفظ المؤدِّي للمعنى المراد بدقّة تامّة، وكان يقول:"إيّاكَ والتّتبُّعَ لوَحْشِيّ الكلامِ طمعًا في نَيْل البلاغة، فإنّ ذلك العِيَّ الأكبر". ويظهر ذلك في نصِّه السابق من كتيِّب (الأدب الصغير)، إذ تتجلى عنايته بالمعنى من خلال اختيار الألفاظ الواضحة والمناسبة للمعنى المراد بعيدًا عن الغَرابة والغموض.

٢- الحرص على الإيجاز، فكان يقول: " البلاغة هي الإيجاز"، فيعبرُ عن الفكرة تعبيرًا واضحًا بعبارات موجَزة وقليلة من غير إسهاب أو تطويل، وذلك ما يظهر أيضًا في نصِّه السابق من كتيِّب (الأدب الصغير).

٣- التقسيم المنطقي، فيَقْسِم الكتاب موضوعاتٍ، والموضوعَ فقراتٍ، كما في كتابه (الأدب الكبير).

٤- المَزْج بين السّرْد القَصصيّ والإنشاء المبنيّ على التسلسل المنطقيّ الذي يصلح للتعبير عن الأفكار من غير تكلُّف، فسُمِّيَ أسلوبُه (السّهلَ المُمْتنِعَ)؛ لسلاسته وبساطته وإحكامه معًا.

٥- استخدام الحوار والرمز، ويتجلّى ذلك في الكتاب الذي ترجمَه إلى العربية (كَليلَة ودِمْنَة).

الجاحظ

نشأته وحياته

هو أبو عُثمان عَمْرو بن بَحْر، لُقِّب بـ (الجاحظ) لجُحوظ عينيه. وُلِد في البصرة عام ١٥٩هـ. كان شديد الفقر، مات أبوه وهو صغير، فعمل منذ طفولته ليساعد عائلته، غير أن ذلك لم يحُل بينه وبين الشَّغَف بالعلم، والاتصال بالعلماء والأخذ عنهم، فقد لزم الكَتاتيب، وارتاد حَلَقات العلم، وسمع من الأَصْمَعِيّ وأبي عُبَيْدة، ودرسَ النحو وعلم الكلام، وتلقّفَ الفصاحة من العرب شِفاهًا، ولم يَدَعْ فرصة إلاّ أفاد منها في التزوّد بالعلم والمعرفة. وقيلَ بأنه كان يَكْتَري[1] مكاتب الوَرّاقينَ فيبيتُ فيها للدرس والمطالعة حتى أحصى مسائل العلوم والفنون.

اتّصل بابن الزَّيّات وزير المعتصِم والواثِق، وقدّم إليه بعض كتبه فأكرمه ورعاه. وقام بعدة رحلات سعيًا إلى العلم.كان سريع النُّكْتة، وحاضر البديهة، ودَمِثَ الخُلُق، ولطيف المَعشَر. وقد عُمِّر طويلًا فعاش ما يقارب ستة وتسعين عامًا.

أصيب الجاحظ في آخر حياته بالفالِج والنِّقْرِس. وتُوُفِّيَ في البصرة عام ٢٥٥هـ.

آثاره

خلّفَ الجاحظ مؤلَّفاتٍ كثيرةً بين كتاب كبير ورسالة صغيرة، عالجَ من خلالها مختلِف الأغراض والموضوعات، فكتبَ في الأدب والشعر، والديانات، والمذاهب الفلسفية، والسياسة، والاقتصاد، والأخلاق، وطبائع الأشياء والحيوانات، ومن أشهر هذه المؤلَّفات:

الحَيوان: يُعنى بدراسة الحَيوان وطبائعه، وأنواعه، وأجناسه، وتركيبه الجسدي، وطعامه، إضافة إلى بعض الأخبار والقِصص والنوادر والفُكاهة من شعر ونثر، وقضايا فلسفية وأدبية ونقديّة.

(١) يَكْتَري : يستأجر.

البَيان والتَّبيين: يُعدُّ هذا الكتاب من أفضل ما وضِعَ في الأدب والنقد، فموضوع الكتاب الرئيس النَّقْد الأدبي والعَلاقة بين المعاني والمَباني. يبدأ الجاحظ كتابه بالتعوُّذ من العِيّ والحَصَر في القول، ويُورِدُ شعرًا ونثرًا في ذَمِّهما. ثم ينتقل إلى البلاغة ورأي العرب والعَجَم فيها والأسس التي تقوم عليها، وينصح بتهذيب الشعر وتنقيحه، وعدم الإطالة والتكرار. ويُفرِد بابًا خاصًّا في الرّدّ على الشُّعوبِيّة، ويكشف عن نقائصها وأخطائها. ويُنهي الكتاب بأخبار الحمقى والمجانين.

البُخَلاء: كتاب قَصصي طريف، جَمَعَ فيه الجاحظ نوادر البخلاء وطبائعهم في معايشهم ومبالغتهم في التقتير.

مجموعة من الرسائل الأدبية المتنوّعة الأغراض، منها: (حُجَج النّبوّة)، و(الجِدّ والهَزل).

نموذج من نثره

من كتاب الحَيوان:

« إذا أردْنا مَوْضعَ العَجَب والتّعجيب والتّنبيه على التدبير ذكرْنا الخَسيسَ القليل، والسّخيفَ المَهين، فأَرَيْناكَ ما عنده من الحِسّ اللّطيف، والتّقديرِ الغريب، ومِن النَّظَر في العَواقب، ومشاكَلَة الإنسان ومزاحمتِه. وقد علِمنا أنّ الذَّرَّة[1] تدَّخر للشتاء في الصّيف... ولا تُضيعُ أوقاتَ إمكان الحَزْم، ثم يبلغُ مِن تَفَقُّدها وحُسْن خُبْرها، والنظر في عواقب أمرها، أنّها تخاف على الحبوب التي ادّخرتها للشّتاء في الصيف أن تَعْفَنَ وتُسوِّس؛ فتنقُلها من بطن الأرض، فتخرجها إلى ظهرها؛ لتيبِّسَها وتعيدَ إليها جُفوفَها؛ وليضربَها النَّسيم، ويَنفيَ عنها اللَّخَنَ[2] والفساد... وإن خافت أن تنبتَ نقرتْ موضع القِطْمِير[3] من وسط الحَبّة، وتعلم أنّها من ذلك الموضع تبتدئ وتنبت ... فهي تَفْلِق الحَبّ كلّه أنصافا، فأمّا إذا كان الحَبُّ من حَبّ الكُزْبُرَة فَلَقَتْه أرباعًا؛ لأنّ أنصاف حَبّ الكُزْبُرة ينبت من بين جميع الحبوب. فهي على هذا الوجه مُجاوِزة لفِطْنة جميع الحيوان، حتّى ربّما كانت في ذلك أحْزمَ من كثير من الناس».

---

(١) الذَّرّة: صغير النمل.

(٢) اللَّخَن: النّتَن وفساد الرائحة.

(٣) القِطْمِيرُ: القشرة الرّقيقة على النّواة.

من كتاب البيان والتبيين:

« قال بعضُ جَهابِذَة الألفاظِ ونُقّادِ المعاني: المعاني القائمةُ في صدور الناس، المتصوَّرَةُ في أذهانهم، المتخلِّجةُ في نفوسهم، والمتَّصِلة بخواطرهم... إنما يُحْيي تلك المعانيَ ذكرُهم لها، وإخبارُهم عنها، واستعمالُهم إيّاها، وهذه الخصالُ هي التي تقرِّبُها من الفهم، وتُجَلِّيها للعقل، وتجعل الخفيَّ منها ظاهرًا، والغائبَ شاهدًا... وعلى قَدْر وضوح الدَّلالة، وصوابِ الإشارة، وحُسْن الاختصار، ودِقَّة المَدخل، يكون إظهارُ المعنى، وكلّما كانت الدَّلالة أوضَحَ وأفْصَح، وكانت الإشارةُ أَبْيَنَ وأنْوَر، كان أنفَعَ وأنْجَعَ ».

من كتاب البخلاء:

« زعَموا أنّ رجلاً بلغَ في البخل غايةً، وصار إمامًا، أنه كان إذا صار في يده الدِّرهَمُ خاطَبَه وناجاهُ واستبطَأَه[1]، وكان ممّا يقولُ له: كم من أرض قد قطعتَ، وكم من كيس قد فارقتَ، وكم من خامِل قد رفعتَ، وكم رفيعٍ قد أخمَلتَ، لكَ عندي ألاّ تَعرى ولا تَضْحى، ثم يلقيه في كيسه ويقول له: اسكنْ على اسم الله، في مكانٍ لا تُهان ولا تُذَلُّ ولا تُزْعَجُ منه .... فلما مات، وظنوا أنهم قد استراحوا منه، قدِمَ ابنُه فاستولى على مالِه وداره، ثم قال: ما كان أَدَمُ أبي؟ فإن أكثرَ الفسادِ إنما يكون في الإدام، قالوا : كان يتأدَّمُ بجُبنةٍ عنده، قال: أَرونيها، فإذا فيها حَزٌّ كالجدول من أَثَر مسْح اللُّقمة، قال: ما هذه الحفرة؟ قالوا: كان لا يقطع الجُبن، إنما كان يمسحُ على ظهرِه فيحفرُ كما ترى، قال: فبهذا أهلكَني، قالوا له: فأنتَ كيف تريد أن تصنع؟ قال: أضعها من بعيدٍ فأشيرُ إليها باللُّقمة » .

أسلوبه

يُعدُّ الجاحظ رأس مدرسة في الكتابة، بما يتميز به أسلوبه من سمات وخصائص انفرَدَ بها وتَرَسَّمَها بَعدَه عدد من الأدباء الكبار، فمن أهم خصائص أسلوبه:

١- الاستِطراد، وهو الانتقال من موضوع إلى آخر، فالجاحظ ينتقل من الحديث عن الشعر، إلى الحديث عن الفلسفة، إلى الحديث عن الحيوان، إلخ، فما يشرع في غرَض حتى يتجاوزَه إلى غيره. وهذه سِمة ظاهرة في سائر كتبه، وهو يفعل ذلك بوعي معتمِدًا على تَداعي المعاني والأفكار إلى ذهنه، ويرمي من خلاله إلى إبعاد المَلَل عن القارئ.

(١) استبطَأَه: استطالَ بُعدَه عنه، وقال: أبطأتَ في مجيئك إليّ.

٢- مَزْجُ الجِدّ بالهَزْل والتهكم والسخرية، فيعمِدُ إلى المفارقات والتناقضات ويزاوج بينها.

٣- دقّة الوصف، فإنه كثير العناية بتفاصيل الأشياء التي يصفها، فما من موضع يتعلق به غرَضه إلا جعل له صورةً حتى يُبرِز موصوفه على الشكل الذي يراه، ويَبرُز ذلك في نصّيه السابقينِ المأخوذينِ من كتابيه: (الحَيوان) ، و(البُخَلاء).

٤- الملاءمة بين الألفاظ والمعاني، فالجاحظ هو القائل في كتاب (الحَيوان): " لكل ضَرْب من الحديث ضَرْب من اللفظ، ولكل نوع من المعاني نوع من الأسماء، فالسخيف للسخيف، والخفيف للخفيف، والجَزْل للجَزْل" .

٥- قِصَر الجمل في إيجاز بعيد الدلالة، فلا تتجاوز الجملة الألفاظ القليلة، ولكنها مُثْقَلة بالمعاني.

ابن العَميد

نشأته وحياته

هو أبو الفَضْل محمَّد بن الحُسين المعروف بـ(ابن العَميد)، فارسي الأصل، وُلِد عام ٢٢٩هـ. لُقِّب أبوه بـ (الشَّيخ) و (العَميد) لتَوَلّيه الكتابة لنوحِ بنِ نَصْرٍ الساماني ملك بُخارى، فأنشأه على الأدب، ودرَّبه على الكتابة، وغذّاه بالعلم، فحفظ القرآن الكريم، وحفظ معظم دواوين شعر الجاهلية والإسلام، وتوسَّع في الفلسفة والنجوم، فأفاد من كل ذلك وبَرَعَ في الإنشاء والترسُّل حتى سُمِّي بـ (الأستاذ). عملَ وزيرًا لركن الدولة بن بُوَيْه، وتُوُفِّيَ سنة ٣٦٠هـ.

آثاره

لم يُعْثَرْ لابن العَميد على مؤلَّفات أو آثار خالصة، فقد ذهب الزمان بأكثرها ولم يبقَ منها إلاّ مقاطع مبثوثةٌ في كتب الأدب والتراجم.

نموذج من نثره

رسالة كتبها إلى أحد الخارجين[١] على الدولة، يقول:

« كِتابي وأنا متأرجِحٌ بين طمعٍ فيكَ، ويأسٍ منكَ، وإقبال عليكَ، وإعراضٍ عنكَ، فإنّكَ تُدِلّ

(١) هو ابن بلكا حين استعصى على رُكْن الدولة.

بسابقِ حُرْمَةٍ، وتَمُتُّ بسالفِ خدمة، أيسرُهما يوجب رعاية، ويقتضي محافظة وعناية، ثم تشفعُهما بحادث غُلولٍ[١] وخيانة، وتُتْبِعُهما بآنف[٢] خلاف ومعصية، وأدنى ذلك يُحبط أعمالَك، ويَمحَق كلّ ما يُرْعى لك. لا جَرَمَ أني وقفتُ بينَ مَيْل إليكَ، ومَيْل عليكَ، أُقدِّمُ رِجْلاً لِصَدِّكَ، وأُؤخِّرُ أخرى عن قَصْدِك، وأبسُط يدًا لاصطلامِك[٣] واجتياحك، وأَثْني ثانية لاستبقائك واستصلاحك... فقد يَغْرُبُ العقل ثم يَؤوب، ويَعْزُب اللُّبّ ثم يَثوب، ويَذهب الحَزْم ثم يعود، ويَفسُد العَزْم ثم يَصلُح، ويُضاع الرأيُ ثم يُستَدرَك، ويَكْدُر الماء ثم يَصْفو، وكلُّ ضيقة فإلى رَخاء، وكلُّ غَمْرَة فإلى انجِلاء».

أسلوبه

من أهم خصائص نثر ابن العَميد الأسلوبية:

١- استخدام ضُروب البديع، مثل: الجِناس، والطِّباق، والسَّجْع، والمُوازَنة، من غير تكلُّف، ومن ذلك في رسالته السابقة: " فإنّكَ تُدِلّ بسابقِ حُرْمَةٍ، وتَمُتُّ بسالفِ خدمة ".

٢- المَيْل إلى الترادف والإطناب.

٣- الإيقاع الموسيقي بين الجمل، وذلك من خلال المُوازَنة وقِصَر الجمل، من مثل قوله: " أُقدِّمُ رِجْلاً لِصَدِّكَ، وأُؤخِّرُ أخرى عن قَصْدِك".

٤- الميل إلى الأسلوب الخَطابيّ واللغة التقريريّة.

أبو حَيّان التَّوْحيدِيّ

حياته ونشأته

فيلسوف متصوِّف، وأديب بارع. وُلِد في القرن الرابع الهجري سنة ٣١٠هـ، وعاش أكثر أيامه في بغداد. نشأ يتيمًا فقيرًا،وعانى شَظَف العيش ومرارة الحرمان لا سيما بعد وفاة والده وانتقاله إلى كَفالة عمّه الذي كان يُسيء معاملته.

(١) الغُلول: العداوة.

(٢) آنَف: أشَدّ.

(٣) الاصطِلام: الاستئصال.

اتَّسَم أبو حيّان بسَعة الثقافة وحِدّة الذكاء، وسُمِّيَ (أديب الفلاسفة) و(فيلسوف الأدباء). امتهَنَ حِرْفة الوِراقة[1] التي أتاحت له التزوُّد بكمٍّ هائلٍ من المعرفة، و تُوُفِّيَ سنة ٤١٤هـ.

آثاره

ترك أبو حَيّان عددًا كبيرًا من الآثار، من أهمّها:

الإمتاع والمُؤانَسة: من الكتب الجامعة وإن غَلَبَ عليه الطابَع الأدبيّ. وقد قسَّمَ أبوحيّان هذا الكتاب سبعة وثلاثين قسمًا، ثَمَرةً لمُسامَرات سبع وثلاثين ليلةً نادَمَ فيها الوزير أبا عبدِ الله العارِض، كتبَها لصديقه أبي الوفاء المُهندِس، وتقلَّبَ فيها الكلام وتنوَّع من أدب إلى فلسفة وشعر وفَلَك وحَيوان. تفرَّد فيه أبو حَيّان بنوادرَ لم يوردها غيره، وكشف عن بعض جوانب الحياة السياسية والفكرية والاجتماعية لتلك الأيام.

البَصائر والذَّخائر: موسوعة اختيارات ضخمة تقع في عشرة أجزاء، انتخبَها أبو حَيّان من روائع ما حفِظ وسمِع وقرأ. والكتاب لا يَقتَصر على الاختيارات، ولا تَكْمُن قيمته فيها حَسْبُ، إنّما يتجاوز ذلك إلى ما أضافه التَّوحيدِيّ إلى تلك الاختيارات من آراء وتعليقات قيِّمة.

الصَّداقة والصَّديق: رسالة أدبية تشتمل على كثير من أخبار الأدب المتعلقة بموضوع الصَّداقة والأصدقاء، كما تشتمل على شيء من آراء أبي حَيّان التَّوْحيدِيّ وإلماحات إلى حياته.

أَخلاق الوزيرَيْن: ويسمى أيضا (مَثالِب الوزيرَيْن): وهو كتاب نادر في موضوعه، جَمَعَ فيه أبو حَيّان مشاهداته ومسموعاته عن الوزيرَيْن: ابن العَميد، والصاحب بن عَبّاد، وكان قد اتصل بهما فحرَماه ومنَعاه ولم يجد عندهما ما كان يُؤمِّله من حُظْوة وصِلة وإكبار.

نموذج من نثره

جاء في الليلة السابعة من ليالي كتاب (الإمتاع والمُؤانَسة) النصّ الآتي، وفيه المُفاضَلة بين الحِساب والبلاغة:

يقول أبو حَيّان:

« لمّا عُدْتُ إليه (أي إلى أبي عبدِ الله العارِض) في مجلس آخَر قال: سمعتُ صِياحَكَ اليوم في الدار مع ابن عُبَيْد، ففيمَ كنتما؟ قلتُ: كان يذكُر أن كتابة الحساب أَنْفَعُ وأفضل وأَعْلقُ بالمُلك،

(١) الوِراقة: نسْخ الكتب وبيعها.

والسلطان إليه أَحْوَجُ، وهو بها أَغْنى من كتابة البلاغة والإنشاء والتحرير، فإذا الكتابة الأولى جِدّ، والأخرى هَزل، ألا ترى أن التَّشادُق والتّفَيْهُق[1] والكَذِب والخِداع فيها أكثر، وليس كذلك الحساب والتحصيل والاستدراك والتفصيل. قال: وبعدَ هذا فتلك صناعةٌ معروفةٌ بالمَبْدَأ، موصولة بالغاية، حاضرة الجدوى، سريعة المنفعة، والبلاغة زُخرُفة وحِلْية، وهي شبيهة بالسَّراب، كما أن الأخرى شبيهة بالماء... قالَ: هذه مَلْحَمة مُنكَرة، فما كان الجواب؟

قلتُ: ما قامَ من مَجلِسِه إلا بعد الذُّلّ والقَماءَة، وهكذا يكون حال من عابَ القَمَر بالكَلَف، والشمس بالكُسوف، وانتحَلَ الباطل ونَصَرَ المُبْطل، وأَبْطَلَ الحقَّ وزَرى[2] على المُحقّ.

قلتُ : أيها الرَّجلُ، قولك هذا كان يَسلَم لو كان الإنشاء والتحرير والبلاغة بائنةً من صناعة الحساب والتحصيل والاستدراك وعمل الجماعة ... فأما وهي متصلة بها وداخلة في جملتها ومُشتمِلَة عليها وحاوية لها، فكيف يطرد حُكمُك وتَسلَم دعواك؟».

من رسالة (الصَّداقة والصّديق):

« ليس ينبغي – أبقاكَ الله – أن تَغضبَ على صديقك إذا نَصَحَ لكَ في جَليلك ودَقيقك، بل الأَقْمَنُ[3] بكَ والأَخْلَق لكَ أن تتقبَّل ما يقوله، وتُبدِيَ البَشاشَة في وجهه، وتشكرَه عليه؛ حتى يزيدَك في كل حال ما يُجمِّلك، ويَكْبِتَ عدوَّك. والصديقُ اليومَ قليلٌ، والنُّصح أقلّ، ولن يرتبط الصديق إذا وُجِدَ بمِثْل الثقة به، والأخذ بهَدْيه، والمصيرِ إلى رأيه، والكونِ معه في سَرّائه وضَرّائه، فمتى ظفِرتَ بهذا الموصوف فاعلم بأنّ جَدّكَ قد سَعِدَ، ونَجْمكَ قد صَعِدَ، وعدوّكَ قد بَعُدَ. والسّلام».

أسلوبه

من أهمّ خصائص أبي حَيّان الأسلوبية:

١– اللغة التقريرية المباشَرة البعيدة عن التكلُّف، ويتجلى ذلك في النصَّين السابقَين من كتاب (الإمتاع والمُؤانَسَة) ورسالة (الصَّداقة والصَّديق)، إذ يَعمِد التَّوحيدِيُّ فيهما إلى التعبير عن المعنى المراد بلغة مباشَرة بعيدة عن التأويل.

---

(١) التَّفيهُق: المغالاة والتكلُّف في الكلام.

(٢) زَرى عليه : عابَ عليه واستخفَّ به.

(٣) أَقْمَن: أجْدَر.

٢– إيلاء المعنى غاية اهتمامه.

٣– المَيْل إلى الإطناب والتعليل والتقسيم وكثرة الاستشهاد بالنوادر والأخبار.

٤– المَيْل إلى السخرية التي تبدو مُرّة في كثير من الأحيان، ومن ذلك قوله في نصِّه السابق من كتاب (الإمتاع والمُؤانَسَة) : " قلتُ: ما قامَ من مَجلسِه إلا بعد الذُّلّ والقَماءَة، وهكذا يكون حال من عابَ القَمَر بالكَلَف".

التقويم

١– اذكر اثنين من أهمّ آثار ابن المُقفَّع.

٢– ما الموضوع الذي تَناولَه كل من الكتابين: (البُخَلاء) للجاحظ ، و(أخلاق الوَزيرَيْنِ) لأبي حيّان التّوحيديّ؟

٣– بيِّن أهم خصائص ابن العَميد الأسلوبية، ممثِّلا عليها ببعض النماذج من نثره.

٤– يمثِّل ابن المُقفَّع ظاهرة امتزاج الثقافات، وضِّح ذلك.

٥– يُعَدُّ الجاحظ ذا ثقافة موسوعية، وضِّح مصادر هذه الثقافة .

٦– وازِن بين أسلوب ابن المُقفَّع وأسلوب ابن العَميد من حيث الصناعة اللفظية.

٧– أ – مثِّل من النماذج المأخوذة من كتب الجاحظ على خاصية مزج الجِدّ بالهَزل والتهكُّم والسخرية لديه.

ب– اقرأ النص الآتِيَ من كتاب (البَصائر والذَّخائر) لأبي حَيّان التَّوحيدِيّ، ومثِّل من خلاله على خاصيّتَي: المَيْل إلى الإطناب، وإيلاء المعنى غاية الاهتمام، لديه:

« واجتهِدْ في طلبِ العِلْم واقتباس الأدبِ وتحصيل الحِكمةِ اجتهادَ من لا يَرى لِكَوْنه فائدةً إلا بها، ولا يَعرِف لحياته عائدةً إلا منها، ولا لعَقْله مرجوعًا إلا معها، وصُنْ نَفْسك ... وأَشْعِرْها حَلاوة الحكمة، وأَلبِسْها جِلْباب المعرفة، وزيِّنها بأنوار العِصمة، وبَصِّرها مَواقعَ اليقين، وروِّحها بمَوادِّ السُّكون، وشَوِّقها إلى مَقعَد الصدق».

٨– علِّل: مالَ الجاحظ في أسلوبه إلى الاستطراد.

المَقامَة فنّ نثريّ استُحْدِثَ في القرن الرابع الهجري لإيراد الحِكاية بأسلوب أدبي مصنوع مسجوع، وتدور حول بَطَل أَفّاق أديب شَحّاذ، يُحدِّث عنه راوِيَة قد يلبَس جُبَّة البطل أحيانًا.

وكان الأدباء يتبارَوْن في كتابتها إظهارا لِما يتميّزون به من بَراعة لغوية وأدبية، وهدفُهم في الأصل تعليم الناشئة أصول اللغة والقدرة على النَّظْم والتفنُّن في القول.

ظهر فنّ المَقامات على يد ابن دُرَيْد المُتوفّى سنة ٣٢١هـ، وتأصَّلَ على يد بَديع الزَّمانِ الهَمَذانيّ المُتوفّى سنة ٣٩٨هـ، ومِن بَعده تلميذه أبو القاسم محمَّد الحَريريّ المُتوفّى سنة ٥١٦هـ. وقد جاءت كل مَقامَة في موضوع واحد، فنرى مَقامَة حِكْمِيّة، أو أدبيّة، أو نقديّة، أو فُكاهيّة، أو وَعْظيّة، وغير ذلك، وأغلبها يدور حول الكُدْيَة[1]. وأطلقَ أصحاب المَقامات على كلّ مَقامَة اسمًا خاصًّا، فبعضها يحمل أسماء المدن والأراضي التي وقعت فيها حَوادثُها، وأكثرها من المدن الإيرانية، كالمَقامَة الأَصْفَهانِيّة، وبعضها سُمِّيَ بحسب الموضوع، كالمَقامَة القَريضِيّة التي كان موضوعها نقْد الشعر، والمَقامَة المُلوكِيّة التي تَحْكي عن الملوك ومدْحهم، وغير ذلك من أسباب التسمية.

وقارئ المقامات يجد اهتمام كُتّابها بضرورة وجود راوٍ وبَطَل في كل مَقامَة. أمّا راوي مَقامات بَديع الزَّمانِ الهَمَذانيّ فهو شخصيّة مُختَرَعة أَطلَق عليها الهَمَذانيّ اسمَ عيسى بنِ هشام، الذي يَروي جميع القِصص في كلّ المَقامات، وأمّا بَطَل مَقاماته فهو أبو الفَتْح الإِسْكَنْدريّ وهو شخصية مُختَرَعة كذلك. في حين كان راوي مَقامات الحَريريّ الحارثَ بنَ هَمّامٍ، وأمّا البَطَل فهو أبو زيدٍ السَّروجِيُّ.

وقد جعل كُتّاب المَقامات بَطَل مَقاماتهم في الأغلب رجلًا شَحّاذًا يَجول في البلاد ويتفنَّن في الحِيَل المختلفة والألاعيب المتنوّعة، ويَظهر بالمظهر الذي يتلاءم مع غايته ويتناسق مع رغبته في جمع المال من خلال الحيلة، والبَطَل بارع في الوَعْظ ويتنوّع أسلوبه بين الشعر والنثر.

وتُعَدّ المَقامَة بمَثابة سجِل لحياة الأمّة في وقتها، إذ تَعرِض لمظاهر الحياة: الاجتماعية، والعقلية، والفكرية، والسياسية، للأمّة، فتُبيِّن الأَزَمات النفسية والعُقَد الوِجدانية، وترسُم لنا بأسلوب فُكاهيّ

(١) الكُدْيَة: التَّسوُّل.

صُورًا ناقدة للحياة الاجتماعية، من خلال الكُدْيَة، في عصر سيطر فيه العَجَم وتَفَشَّت الأمراض الاجتماعية.

نموذج من فنّ المَقامَة

المَقامَة المَكْفوفِيَّةُ لبَديع الزَّمانِ الهَمَذانيّ

حَدَّثَنا عيسى بن هشام قالَ:

كنتُ أَجْتاز، في بعضِ بِلادِ الأَهْوازِ، وقُصارايَ لَفْظَةٌ شَرودٌ أَصيدُها[١]، وكَلمةٌ بَليغَةٌ أَسْتَزيدُها، فَأَدّاني السَّيْرُ إِلى رُقْعَةٍ فسيحةٍ من البلَدِ، وإِذا هناكَ قَوْمٌ مُجتمِعونَ على رَجُلٍ يستمِعونَ إِليهِ، وهو يَخْبِطُ الأَرْضَ بِعَصًا على إِيقاعٍ لا يَختلِفُ، وعَلِمْتُ أَنَّ معَ الإِيقاعِ لَحْنًا، ولم أَبْعُدْ لأَنالَ منَ السَّماعِ حَظًّا، أَو أَسْمَعَ منَ الفَصيحِ لَفْظًا. فما زِلْتُ بالنَّظّارَةِ[٢] أَزْحَمُ هذا وأَدْفَعُ ذاكَ حتّى وصلتُ إِلى الرَّجُلِ، وسَرَّحْتُ الطَّرْفَ مِنْهُ إِلى حُزُقَّةٍ[٣] كَالقَرَنْبى[٤]، أَعمى مَكْفوفٍ، في شَمْلَةٍ[٥] صوفٍ، يَدورُ كالخُذْروفِ[٦]، مُتَبَرْنِسًا بِأَطْوَلَ مِنْهُ، مُعتمِدًا على عَصًا فيها جَلاجِلُ[٧]، يَخْبِطُ الأَرْضَ بِها على إِيقاعٍ غَنِجٍ، بِلَحْنٍ هَزِجٍ، وصَوْتٍ شَجٍ، مِنْ صَدْرٍ حَرِجٍ[٨]، وهو يقولُ:

يا قَوْمُ قد أَثْقَلَ دَيْني ظَهْري ... وطالَبَتْني طَلَّتي بالْمَهْرِ[٩]

أَصْبَحْتُ مِنْ بَعْدِ غِنًى وَوَفْرِ ... ساكِنَ قَفْرٍ وحَليفَ فَقْرِ[١٠]

يا قَوْمُ هل بَينَكُمُ مِنْ حُرِّ ... يُعينُني على صُروفِ الدَّهْرِ؟

---

(١) المقصود أنه كان يَمُرُّ ببلاد (الأَهْواز) وغايتُه لفظة غريبة لم يَسمع بها يُفيدها.

(٢) النَّظّارة: القوم ينظرون إلى الشيء.

(٣) الحُزُقَّة: القصيرُ العظيمُ البَطْن.

(٤) القَرَنْبى: إحدى دوابّ الأرض تُشبِه الخُنْفَساء.

(٥) الشَّمْلَة: ثَوْب يُلَفّ على الجَسَد كُلّه.

(٦) الخُذْروف: لعبة يَجعل فيها الصِّبيان خيطًا ويُديرونَها به.

(٧) جَلاجِل: أجْراس.

(٨) غَنِج: حَسَن. هَزِج: ذو ترنُّم. شجٍ: أي به آثار الحُزْن والأسى. حَرِج: ضيِّق.

(٩) الطَّلّة: الزوجة، يَقصد أنها تطالبه بالطلاق لعُسْره وضيق يده.

(١٠) قَفْر: الأرض المُجدِبة.

قالَ عيسى بنُ هشامٍ: فَرَقَّ لهُ، واللهِ، قَلْبي، واغْرَوْرَقَتْ لهُ عَيْني، فَنِلْتُهُ دينارًا كانَ معي، فما لَبِثَ أَن قالَ:

يا حُسْنَها فاقِعَـــةٌ صَفْـــــراءُ مَمْشوقَـــةٌ مَنْقوشةٌ قَـــــوْراءُ[1]

يَكادُ أَنْ يَقْطُرَ منْهـــا المـــاءُ قَدْ أَثْمَرَتْهـــــا هِمَّةٌ عَلْيـــاءُ

نَفْسُ فَتًى يَمْلِكُـــهُ السَّخـــاءُ يَصْـــرِفهُ فيـــهِ كَما يَشـــاءُ

يا ذا الـــذي يَعْنيهِ ذا الثَّنـــاءُ ما يَتَقَضّى قَـــدْرَكَ الإِطْـــراءُ

امْضِ إلى اللهِ لكَ الجَزاءُ

ورَحِمَ اللهُ مَن شَدَّها في قَرَنِ مِثْلِها، وآنَسَها بأُختِها. فنالَهُ النّاسُ ما نالوهُ. ثمّ فارَقَهُم وَتَبِعْتُهُ، وعَلِمْتُ أَنّه مُتَعامٍ؛ لِسُرْعةِ ما عَرَفَ الدّينارَ. فلمّا نَظَمَتْنا خَلْوَةٌ مَدَدْتُ يُمْنايَ إلى يُسرى عَضُدَيْهِ وقلتُ: واللهِ، لَتُرِيَنّي سِرَّكَ، أَو لأَكْشِفَنَّ سِتْرَكَ، فَفَتَحَ عن تَوْأَمَتَيْ لَوْزٍ[2]، وحَدَرْتُ لِثامَهُ عن وجهِهِ فإذا، واللهِ، شَيْخُنا أَبو الفَتْحِ الإِسْكَنْدَرِيُّ، فقلتُ: أنتَ أَبو الفَتْحِ؟ فقالَ: لا،

أَنـــــا أَبـــــو قَلَمُـــونٍ في كُلِّ لَـــــوْنٍ أَكـــــونُ[3]

لا تُكْـــــذَبَنَّ بِعَـقْـــــلٍ ما العَقْـــلُ إلاّ الجُنـــــونُ

خصائص المقامات في العصر العباسي

تميّزت المقامات بخصائص جعلتْها تختلف عن غيرها من الفنون النثرية، ومن أهمّها:

١- تصوير الحدث على شكل حِكاية فُكاهيّة تتوافر فيها عناصر القصة.

٢- الإكثار من المحسّنات البديعية من: سَجْع، وجِناس، وغيرهما.

٣- الإكثار من الصُّور الفنية.

٤- توظيف السَّرْد والحوار بما يُضْفي على النص قَدرًا من الحيوية والتشويق.

(١) فاقِعةٌ صفراءُ: شديدة الصُّفْرَة. قَوْراء: مستديرة.

(٢) فتحَ عن تَوْأَمَتَيْ لَوْزٍ: كنّى بذلكَ عن صحّة عَيْنيه.

(٣) القَلَمون: ثوب يُراعى عند نَسْجه أن يَظهَر في عدّة ألوان.

٥– استخدام الألفاظ الغريبة لإظهار البراعة اللغوية.

٦– تضمُّن الأبيات الشعرية في الأغلب.

٧– المَيْل إلى النقد الاجتماعيّ.

التقويم

١– تُعَدّ المَقامَة سجِلًّا لحياة الأمّة في وقتها، وضِّح ذلك.

٢– يرى بعض الدّارسين أنّ فنّ المَقامَة يتلاقى مع فنّ القصة الحديث بعددٍ من العناصر المشترَكة، وضِّح ذلك مُبدِيًا رأيكَ فيه.

٣– من خصائص المَقامَة الإكثار من المحسِّنات البديعية، مثِّل على هذه الخاصية من المقامة المكفوفيّة.

٤– جاء في العَرْض أنّ كُتّاب المَقامات تَبارَوْا في كتابتها إظهارًا لما يتميزون به من براعة لغوية وأدبية، وهدفُهم في الأصل تعليم الناشئة أصول اللغة والقدرة على النَّظْم والتفنُّن في القول، فهل ترى هذا ماثلًا في المَقامَة المَكْفوفيّة؟ وضِّح إجابتك.

النّشاط

عُدْ إلى المقامة البغداديّة لبَديع الزَّمان الهَمَذانيّ في كتاب اللغة العربية للصف الحادي عشر، ومثِّل من خلالها على خصائص فنّ المقامات.

المصادر والمراجع

١- إبراهيم السعافين، **أصول المقامات**، ط(١)، دار المناهل، بيروت، ١٩٨٧م.

٢- إحسان النص، **الخطابة في عصرها الذهبي**، ط(٢)، دار المعارف بمصر.

٣- أحمد زكي صفوت، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة**، المكتبة العلمية، بيروت.

٤- .....، **جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة**، دار المطبوعات العربية، بيروت.

٥- أحمد محمد الحوفي، **الحياة العربية من الشعر الجاهلي**، دار القلم، بيروت.

٦- بديع الزمان الهمذاني، **مقامات بديع الزمان الهمذاني**، شرح وتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط(٢)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٩٢٤م.

٧- الثعالبي، عبد المالك بن محمد، **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**، ط(١)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣م.

٨- الجاحظ، عمرو بن بحر، **البيان والتبيين**، تحقيق عبد السلام هارون، ط(٧)، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٨م.

٩- .....، **الحيوان**، تحقيق عبد السلام هارون، ط(٢)، مكتبة مصطفى البابي، القاهرة، ١٩٦٥م.

١٠- .....، **كتاب التربيع والتدوير**، عني بنشره شارل بلات، المعهد الفرنسي، دمشق، ١٩٥٥م.

١١- الزّوزني، حسين بن أحمد بن حسين، **شرح المعلقات السبع**، ط(١)، دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٢م.

١٢- سامي مكي العاني، **الإسلام والشعر**، سلسلة عالم المعرفة، العدد (٦٦)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، حزيران، ١٩٨٣م.

١٣- ابن سعيد الأندلسي، **نشوة الطرب في أخبار الجاهلية العرب**، تحقيق نصرت عبد الرحمن، مكتبة الأقصى، عمّان.

١٤- شكري فيصل، **تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام**، ط(٥)، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٤م.

١٥- شوقي ضيف، **تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي**، ط(٣)، دار المعارف بمصر، ١٩٦٠م.

١٦- .....، **التطور والتجديد في العصر الأموي**، ط(٣)، دار المعارف بمصر، ١٩٦٥م.

١٧- .....، **العصر الإسلامي**، ط(١٣)، دار المعارف بمصر، ١٩٦٣م.

١٨- .....، **العصر العباسي الأول**، ط(٣)، دار المعارف بمصر.

١٩- .....، **العصر العباسي الثاني**، ط(٣)، دار المعارف بمصر.

٢٠- .....، **الفن ومذاهبه في النثر العربي**، ط(٤)، دار المعارف بمصر، ١٩٦٥م.

٢١- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، **تاريخ الطبري**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر.

٢٢- طه حسين، **في الأدب الجاهلي**، ط(١١)، دار المعارف بمصر.

٢٣- عبد الحكيم بلبع، **أدب المعتزلة إلى نهاية القرن الرابع الهجري**، ط(٣)، دار النهضة بمصر، القاهرة.
٢٤- عبد الحميد محمود المسلوت، **الأدب العربي بين الجاهلية والإسلام**، ط(١) ، ١٩٧٣م.
٢٥- ابن عبد ربه الأندلسي، **العقد الفريد**، دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٩م.
٢٦- عبد العزيز عتيق، **في الأدب الإسلامي والأموي**، ط(١)، دار النهضة العربية، بيروت، ٢٠٠٢م.
٢٧- عبد القادر القط، **في الشعر الإسلامي والأموي**، ط(١)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٧م.
٢٨- عز الدين إسماعيل، **في الشعر العباسي**، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، ١٩٩٤م.
٢٩- أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، تحقيق وإشراف لجنة من الأدباء، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٣م.
٣٠- ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، **عيون الأخبار**، دار الكتب، القاهرة، ١٩٢٥م.
٣١- كمال جبري أمين عبهري، **شعر الصراع بين الإسلام وخصومه في عصر النبوة، السيرة النبوية الأدبية**، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمّان، ١٩٩٩م.
٣٢- محمد خضر، **أدب صدر الإسلام**، ط(١)، ١٩٨١م.
٣٣- محمد الدروبي، **الرسائل الفنية في العصر العباسي**، ط(١)، دار الفكر للطباعة والنشر، عمّان، ١٩٩٩م.
٣٤- محمد عبد المنعم خفاجي، **الحياة الأدبية بعد ظهور الإسلام**، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٠م.
٣٥- .....، **الحياة الأدبية في العصر الجاهلي**، ط(١)، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢م.
٣٦- محمد كرد علي، **رسائل البلغاء**، دار الكتب العربية الكبرى، مصر، ١٩١٣م.
٣٧- مصطفى الشكعة، **فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين**، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨١م.
٣٨- ناصر الدين الأسد، **مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية**، ط(٥)، دار المعارف بمصر، ١٩٨٧م.
٣٩- ابن هشام، **السيرة النبوية**، تحقيق مصطفى البغا وإبراهيم الأبياري، دار إحياء التراث العربي،١٩٨٥م.
٤٠- يوسف بكار، **الشعر في عهد الرسول: موضوعاته وخصائصه الفنية – مقاربة مكثفة**، مجلة الدارة، العدد (١)، السنة (٤٠)، المدينة المنوّرة، ١٤٣٥هـ.
٤١- .....، **في الشعر العربي القديم: دراسات ونقود وتراجم**، دار البيروني،عمّان، ٢٠١٦م.

تمَّ بحمدِ اللّٰہِ تعالی